الغراب بلاكي

ثورنتون دبليو برجس



الْغُرَابُ بلاكي

تأليف
ثورنتون دبليو برجس

ترجمة
أحمد شكل

مراجعة
لبنى عماد تركي

هنـــداوي

الْغُرَابُ بلاكي

ثورنتون دبليو برجس

Blacky the Crow

Thornton W. Burgess

الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

٣ هاي ستريت، وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي سي آي سي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره،
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

رسم الغلاف: حنان بغدادي.

الترقيم الدولي: ٥ ١٣٩٦ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

المحتويات

إِهْدَاءٌ

إِلَى الْمُوَاطِنِ الْأَمْرِيكِيِّ الَّذِي حَافَظَ عَلَى بَقَائِهِ فِي أَرْضِ أَجْدَادِهِ — عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَبَدُّلِ الظُّرُوفِ وَتَعَرُّضِهِ لِلاضْطِهَادِ — بِقُدْرَتِهِ عَلَى التَّكَيُّفِ وَذَكَائِهِ ... إِلَى الْغُرَابِ.

الفصل الأول

الْغُرَابُ بلاكي يُحَقِّقُ اكْتِشَافًا

دَائِمًا مَا يَرَى الْغُرَابُ بلاكي أَشْيَاءَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرَاهَا، وَنَتِيجَةً لِذَلِكَ يَقَعُ فِي مُشْكِلَاتٍ لَا تَنْتَهِي كَانَ يُمْكِنُهُ تَجَنُّبُهَا. وَهُوَ فِي هَذَا يُشْبِهُ ابْنَ عَمِّهِ طَائِرَ السِّنْدِيَانِ سامي؛ فَكِلَاهُمَا يَرَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَا تَعْنِيهِ، وَالْأَفْضَلُ لَهُ أَلَّا يَرَاهَا.

وَجَدَ الْغُرَابُ بلاكي الْحَيَاةَ صَعْبَةً؛ إِذْ غَطَّى الْجَلِيدُ الْمُرُوجَ الْخَضْرَاءَ وَالْغَابَةَ الْخَضْرَاءَ، وَكَسَتِ الثُّلُوجُ النَّهْرَ الْكَبِيرَ وَالْبِرْكَةَ الْبَاسِمَةَ. فَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُعْمِلَ نَظَرَهُ الْحَادَّ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ لِيَجِدَ مَا يَسُدُّ جُوعَهُ، وَكَانَ مُسْتَعِدًّا لِأَكْلِ أَيِّ شَيْءٍ يَجِدُهُ فِي طَرِيقِهِ. وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَقْطَعُ مَسَافَاتٍ طَوِيلَةً بَحْثًا عَنِ الطَّعَامِ، وَلَكِنَّهُ دَائِمًا مَا يَعُودُ لَيْلًا إِلَى نَفْسِ الْمَكَانِ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ لِيَبِيتَ لَيْلَتَهُ بِصُحْبَةِ أَفْرَادِ عَائِلَتِهِ الْآخَرِينَ.

فَبلاكي يَعْشَقُ الصُّحْبَةَ، وَخَاصَّةً فِي اللَّيْلِ. وَعِنْدَمَا يَبْدَأُ قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ الْمَرِحُ فِي التَّفْكِيرِ فِي سَرِيرِهِ خَلْفَ التِّلَالِ الْأُرْجُوَانِيَّةِ، فَسَتَجِدُ بلاكي يَتَّجِهُ نَحْوَ بُقْعَةٍ بِعَيْنِهَا مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ؛ حَيْثُ يَعْرِفُ أَنَّهُ سَيَجِدُ جِيرَانًا مِنْ جِنْسِهِ. وَيَقُولُ الْأَرْنَبُ بيتر إِنَّ بلاكي لَا يَجْرُؤُ عَلَى النَّوْمِ بِمُفْرَدِهِ؛ لِأَنَّ ضَمِيرَهُ يُؤَرِّقُهُ، وَلَكِنَّ السِّنْجَابَ جاك السَّعِيدَ يَقُولُ إِنَّ بلاكي عَدِيمُ الضَّمِيرِ. يُمْكِنُكَ أَنْ تُصَدِّقَ مَا تَشَاءُ، وَإِنْ كُنْتُ أَشُكُّ فِي أَنَّ أَيًّا مِنْهُمَا يَعْرِفُ الْحَقِيقَةَ.

كَمَا قُلْتُ سَابِقًا، بلاكي كَثِيرُ التَّرْحَالِ فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ، وَأَحْيَانًا يَأْخُذُهُ بَحْثُهُ عَنِ الطَّعَامِ إِلَى أَمَاكِنَ نَائِيَةٍ. فِي أَحَدِ أَيَّامِ أَوَاخِرِ الشِّتَاءِ، طَرَأَتْ عَلَى ذِهْنِهِ فِكْرَةُ أَنْ يُلْقِيَ نَظْرَةً عَلَى رُكْنٍ مُعَيَّنٍ مَهْجُورٍ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ حَيْثُ كَانَ الصَّقْرُ أحمر الذيل يَعِيشُ فِي

يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ. كَانَ بلاكي يَعْلَمُ أَنَّ أحمر الذيل لَمْ يَعُدْ يَعِيشُ هُنَاكَ؛ فَقَدْ ذَهَبَ إِلَى الْجَنُوبِ فِي الْخَرِيفِ وَلَنْ يَعُودَ حَتَّى يَتَأَكَّدَ مِنْ وُصُولِ السَّيِّدِ ربيع إِلَى الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ.

وَكَعَادَةِ ذَلِكَ الْوَغْدِ الْأَسْوَدِ، حَلَّقَ بلاكي فَوْقَ قِمَمِ الْأَشْجَارِ، وَلَمَحَتْ عَيْنَاهُ الثَّاقِبَتَانِ شَيْئًا مُثِيرًا فِي الْأَسْفَلِ؛ فَقَدْ رَأَى أَمَامَهُ الْعُشَّ الْقَدِيمَ لِلصَّقْرِ أحمر الذيل. كَانَ يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ هَذَا الْعُشِّ؛ فَقَدْ زَارَهُ مِنْ قَبْلُ فِي غِيَابِ أحمر الذيل. مَعَ ذَلِكَ، ظَنَّ أَنَّ الْأَمْرَ رُبَّمَا كَانَ يَسْتَحِقُّ زِيَارَةً أُخْرَى؛ فَلَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَعْرِفَ أَبَدًا مَا يُمْكِنُ أَنْ تَجِدَهُ فِي الْمَنَازِلِ الْقَدِيمَةِ. وَبِالطَّبْعِ كَانَ بلاكي يَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ أحمر الذيل يَبْعُدُ عَنْهُ أَمْيَالًا — بَلْ مِئَاتِ الْأَمْيَالِ — وَلِذَا لَيْسَ ثَمَّةَ مَا يَخْشَاهُ مِنْهُ. وَلَكِنَّ بلاكي كَانَ قَدْ تَعَلَّمَ مُنْذُ زَمَنٍ أَنَّ أَفْضَلَ شَيْءٍ هُوَ التَّأَكُّدُ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ خَطَرٍ؛ لِذَا، عِوَضًا عَنْ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْعُشِّ الْقَدِيمِ مُبَاشَرَةً، حَلَّقَ فَوْقَ الشَّجَرَةِ لِكَيْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَرَى مَا فِيهَا مِنْ عَلٍ.

فَوْرًا رَأَى بلاكي شَيْئًا جَعَلَهُ يَشْهَقُ وَيَطْرِفُ بِعَيْنَيْهِ. كَانَ الشَّيْءُ كَبِيرًا إِلَى حَدٍّ مَا وَأَبْيَضَ اللَّوْنِ، وَكَانَ يُشْبِهُ ... كَانَ يُشْبِهُ الْبَيْضَةَ كَثِيرًا! هَلْ تَتَعَجَّبُ مِنْ شَهِيقِ بلاكي وَطَرْفِهِ بِعَيْنَيْهِ؟ كَانَ الثَّلْجُ يُغَطِّي الْأَرْضَ، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مَا يُشِيرُ إِلَى نِيَّةِ الرِّيَاحِ الشَّمَالِيَّةِ الْبَارِدَةِ وَالصَّقِيعِ الْعَوْدَةَ إِلَى الشَّمَالِ الْبَعِيدِ. طَائِرٌ يَبِيضُ بَيْضَةً فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ! طَارَ بلاكي إِلَى شَجَرَةِ صَنَوْبَرٍ عَالِيَةٍ لِلتَّفْكِيرِ فِي الْأَمْرِ.

فَكَّرَ قَائِلًا: «لَا بُدَّ أَنَّهَا كَانَتْ مُجَرَّدَ كُتْلَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ الثَّلْجِ. لَكِنَّهَا بَدَتْ بَيْضَةً وَلَا شَكَّ. أُوهْ! كَمْ سَيَطِيبُ لِي تَذَوُّقُ بَيْضَةٍ الْآنَ!» وَكَمَا تَعْلَمُونَ، بلاكي ضَعِيفٌ أَمَامَ الْبَيْضِ. وَكُلَّمَا فَكَّرَ فِيهِ أَكْثَرَ، ازْدَادَ جُوعُهُ. فَكَّرَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فِي التَّوَجُّهِ إِلَى هُنَاكَ مُبَاشَرَةً وَالتَّأَكُّدِ مِمَّا رَآهُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجْرُؤْ. فَإِذَا مَا كَانَتْ بَيْضَةً، فَلَا بُدَّ أَنَّهَا تَخُصُّ أَحَدَهُمْ، وَرُبَّمَا كَانَ الْأَفْضَلُ أَنْ يَعْرِفَ مَنْ صَاحِبُهَا. وَفَجْأَةً، انْتَفَضَ بلاكي قَائِلًا: «لَا رَيْبَ أَنَّنِي أَحْلُمُ، لَا يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ بَيْضَةٌ فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ، أَوْ فِي هَذَا الْعُشِّ الْمُهْتَرِئِ الْقَدِيمِ! سَوْفَ أَطِيرُ مِنْ هُنَا وَأَنْسَى أَمْرَهَا.»

طَارَ بلاكي وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْسَى الْأَمْرَ، بَلْ ظَلَّ يُفَكِّرُ فِيهِ طَوَالَ الْيَوْمِ، وَعِنْدَمَا ذَهَبَ إِلَى النَّوْمِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ قَرَّرَ أَنْ يُلْقِيَ نَظْرَةً أُخْرَى عَلَى ذَلِكَ الْعُشِّ الْقَدِيمِ.

الفصل الثاني

بلاكي يَتَأَكَّدُ

صَارَ أَكِيدًا بِلَا شَكٍّ
بَيْضَةٌ طَازَجَةٌ هِيَ مَا رَأَيْتُ.

سَأَلَ طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي، الَّذِي أَتَى فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ لِيَسْمَعَ الْجُزْءَ الْأَخِيرَ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي كَانَ الْغُرَابُ بلاكي يُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَهُ: «عَمَّ تَتَحَدَّثُ؟»

فَرَدَّ بلاكي قَائِلًا: «لَا شَيْءَ، يَا ابْنَ الْعَمِّ، لَا شَيْءَ عَلَى الْإِطْلَاقِ. كُنْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي حَدِيثًا أَحْمَقَ.»

نَظَرَ إِلَيْهِ سامي بِجِدَّةٍ وَتَسَاءَلَ قَائِلًا: «لَسْتَ مَرِيضًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ يَا ابْنَ الْعَمِّ بلاكي؟ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِكَ خَطْبٌ مَا عِنْدَمَا تَبْدَأُ فِي الْحَدِيثِ عَنْ بَيْضٍ مَوْضُوعٍ حَدِيثًا، بَيْنَمَا كُلُّ شَيْءٍ مُغَطًّى بِالثَّلْجِ وَالْجَلِيدِ. الْحَمَاقَةُ لَيْسَتِ الْوَصْفَ الْمُنَاسِبَ لِذَلِكَ. مَنْ سَمِعَ مِنْ قَبْلُ بِبَيْضَةٍ مَوْضُوعَةٍ حَدِيثًا فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ؟!»

أَجَابَ بلاكي: «أَعْتَقِدُ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَسْمَعْ بِذَلِكَ. أَخْبَرْتُكَ أَنَّهَا حَمَاقَةٌ. فَأَنَا جَائِعٌ لِدَرَجَةِ أَنْ أُفَكِّرَ فِيمَا يُمْكِنُنِي تَنَاوُلُهُ إِذَا كُنْتُ أَسْتَطِيعُ الْحُصُولَ عَلَى مَا أُرِيدُ. وَذَلِكَ جَعَلَنِي أُفَكِّرُ فِي الْبَيْضِ، وَحَاوَلْتُ أَنْ أُفَكِّرَ فِي شُعُورِي إِذَا رَأَيْتُ بَيْضَةً كَبِيرَةً لَذِيذَةً أَمَامِي فَجْأَةً. أَظُنُّنِي قُلْتُ شَيْئًا بِهَذَا الشَّأْنِ.»

فَقَالَ سامي: «لَا بُدَّ أَنَّ هَذَا مَا حَدَثَ. فَهَذَا لَيْسَ وَقْتَ وَضْعِ الْبَيْضِ، وَلَنْ يُوضَعَ الْبَيْضُ عَمَّا قَرِيبٍ. اسْتَمِعْ لِنَصِيحَتِي وَانْسَ هَذِهِ الْأُمُورَ الْمُسْتَحِيلَةَ. سَوْفَ أَذْهَبُ إِلَى

صَوْمَعَةِ الذُّرَةِ فِي مَزْرَعَةِ الْمُزَارِعِ براون. رُبَّمَا لَا تَكُونُ الذُّرَةُ لَذِيذَةً مِثْلَ الْبَيْضِ، وَلَكِنَّهَا جَيِّدَةٌ جِدًّا وَمُشْبِعَةٌ. حَرِيٌّ بِكَ أَنْ تَأْتِيَ مَعِي.»

فَرَدَّ بلاكي: «لَيْسَ الْيَوْمَ، رُبَّمَا فِي وَقَتٍ لَاحِقٍ. شُكْرًا لَكَ.»

وَقَفَ بلاكي يُرَاقِبُ سامي وَهُوَ يَتَوَارَى بَيْنَ الْأَشْجَارِ، ثُمَّ حَلَّقَ إِلَى قِمَّةِ أَطْوَلِ شَجَرَةِ صَنَوْبَرٍ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ أَحَدٍ فِي الْجِوَارِ. وَعِنْدَمَا تَأَكَّدَ تَمَامًا مِنْ أَنَّهُ لَا أَحَدَ يَرَاهُ، بَسَطَ جَنَاحَيْهِ وَتَوَجَّهَ إِلَى الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ.

تَمْتَمَ قَائِلًا: «إِنَّنِي أَحْمَقُ. أَعْلَمُ أَنَّنِي أَحْمَقُ، وَلَكِنْ عَلَيَّ أَنْ أُلْقِيَ نَظْرَةً أُخْرَى عَلَى ذَاكَ الْعُشِّ الْقَدِيمِ لِلصَّقْرِ أحمر الذيل. لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَخَلَّصَ مِنْ فِكْرَةِ أَنَّ مَا رَأَيْتُهُ هُنَاكَ أَمْسِ كَانَ بَيْضَةً، بَيْضَةً رَائِعَةً كَبِيرَةً بَيْضَاءَ. وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ، لَا ضَرَرَ فِي إِلْقَاءِ نَظْرَةٍ أُخْرَى.»

طَارَ بلاكي مُبَاشَرَةً نَحْوَ الشَّجَرَةِ الَّتِي تَحْمِلُ الْعُشَّ الْمُتَهَالِكَ الْكَبِيرَ لِلصَّقْرِ أحمر الذيل، وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ مِنْهَا حَلَّقَ عَالِيًا؛ فَبلاكي عِنْدَهُ مِنَ الذَّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ مَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْمُخَاطَرَةِ. إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَظُنُّ الْمَكَانَ خَطِرًا؛ وَلَكِنْ لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَعْرِفَ مَا هُوَ خَفِيٌّ، وَمِنَ الْحِكْمَةِ دَائِمًا أَنْ تَلْزَمَ الْحَذَرَ. وَإِذْ مَرَّ مِنْ فَوْقِ قِمَّةِ الشَّجَرَةِ، نَظَرَ إِلَى أَسْفَلَ بِلَهْفَةٍ. تَخَيَّلْ شُعُورَهُ عِنْدَمَا رَأَى «شَيْئَيْنِ» أَبْيَضَيْنِ فِي الْعُشِّ الْقَدِيمِ؛ شَيْئَيْنِ أَبْيَضَيْنِ يَبْدُوَانِ بَيْضَتَيْنِ بِلَا شَكٍّ! فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ كَانَ ثَمَّةَ شَيْءٌ وَاحِدٌ؛ وَصَارَ يُوجَدُ «شَيْئَانِ». فَتَرَسَّخَتِ الْفِكْرَةُ فِي عَقْلِ بلاكي؛ إِنَّهُمَا بَيْضَتَانِ! لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَا شَيْئًا آخَرَ.

وَاصَلَ بلاكي الطَّيَرَانَ. فَلِسَبَبٍ مَا، لَمْ يَجْرُؤْ عَلَى التَّوَقُّفِ حِينَهَا. كَانَ مُنْفَعِلًا لِلْغَايَةِ بِمَا اكْتَشَفَهُ حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّفْكِيرَ جَيِّدًا. كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَغْرِقَ وَقْتًا لِيَجْمَعَ شَتَاتَ نَفْسِهِ. فَأَيًّا كَانَتْ مَنْ وَضَعَتْ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ فَإِنَّهَا كَبِيرَةٌ وَقَوِيَّةٌ. كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ ذَلِكَ. لَا بُدَّ أَنَّهُ طَائِرٌ أَكْبَرُ مِنْهُ كَثِيرًا، وَلَمْ يَكُنْ يَرْغَبُ فِي الْوُقُوعِ فِي الْمَتَاعِبِ، حَتَّى وَلَوْ فِي سَبِيلِ عَشَاءٍ مِنَ الْبَيْضِ الطَّازَجِ. يَجِبُ عَلَيْهِ أَوَّلًا أَنْ يَكْتَشِفَ مَنْ صَاحِبُ الْبَيْضَتَيْنِ، وَحِينَهَا سَيَعْرِفُ مَا عَلَيْهِ فِعْلُهُ. كَانَ مُتَأَكِّدًا أَنَّهُ لَا أَحَدَ يَعْرِفُ بِوُجُودِ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُمَا لَنْ تَهْرُبَا إِلَى أَيِّ مَكَانٍ؛ لِذَا وَاصَلَ الطَّيَرَانَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى شَجَرَةِ صَنَوْبَرٍ عَالِيَةٍ يُمْكِنُهُ أَنْ يَجْلِسَ عَلَيْهَا وَيُفَكِّرَ دُونَ أَنْ يُزْعِجَهُ أَحَدٌ.

تَمْتَمَ قَائِلًا: «بَيْضَتَانِ! بَيْضَتَانِ حَقِيقِيَّتَانِ! مَنْ ذَا الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ انْتَقَلَ إِلَى مَنْزِلِ أحمر الذيل الْقَدِيمِ؟ وَمَا مَعْنَى وَضْعِ بَيْضَتَيْنِ قَبْلَ وُجُودِ أَيِّ بَادِرَةٍ عَلَى قُدُومِ السَّيِّدِ ربيع؟ هَذَا يَفُوقُ الِاحْتِمَالَ. إِنَّهُ بِالتَّأْكِيدِ يَفُوقُ الِاحْتِمَالَ.»

الفصل الثالث

بلاكي يَعْرِفُ صَاحِبَ الْبَيْضَتَيْنِ

بَيْضَتَانِ كَبِيرَتَانِ فِي عُشٍّ مُتَهَالِكٍ، وَالثَّلْجُ وَالْجَلِيدُ يُغَطِّيَانِ كُلَّ شَيْءٍ! هَلْ سَمِعَ أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ بِمِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ؟

تَمْتَمَ الْغُرَابُ بلاكي قَائِلًا: «لَمْ أَكُنْ لِأُصَدِّقَ ذَلِكَ لَوْلَا أَنَّنِي رَأَيْتُهُ بِعَيْنَيَّ. عَلَيَّ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا؛ فَإِذَا لَمْ أُصَدِّقْ عَيْنَيَّ، فَلَا جَدْوَى مِنْ أَنْ أُصَدِّقَ أَيَّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ. إِنَّنِي مُتَأَكِّدٌ مِنْ وُجُودِ بَيْضَتَيْنِ فِي هَذَا الْعُشِّ الْقَدِيمِ مِثْلَمَا أَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّنِي أَجْلِسُ هُنَا. فَأَيًّا كَانَتْ مَنْ بَاضَتْهُمَا، فَإِنَّهَا لَمَجْنُونَةٌ إِذْ تَضَعُ بَيْضًا فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ. يَجِبُ أَنْ أَكْتَشِفَ مَنْ صَاحِبَةُ الْبَيْضَتَيْنِ ثُمَّ ...»

لَمْ يُنْهِ بلاكي حَدِيثَهُ، وَلَكِنْ لَاحَتْ نَظْرَةُ جُوعٍ فِي عَيْنَيْهِ كَانَتْ تُخْبِرُ مَنْ يَرَاهَا — هَذَا إِنْ كَانَ ثَمَّةَ مَنْ يَرَاهَا — أَنَّ بلاكي يَعْرِفُ فَائِدَةً لِهَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ. وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أَحَدٌ فِي الْجِوَارِ لِيَرَى هَذِهِ النَّظْرَةَ، وَقَدْ حَرَصَ أَشَدَّ الْحِرْصِ عَلَى أَلَّا يَرَاهُ أَحَدٌ عِنْدَمَا اتَّجَهَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى ذَلِكَ الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ.

فَكَّرَ بلاكي قَائِلًا: «سَوْفَ أَتَأَكَّدُ أَوَّلًا مِنْ وُجُودِ الْبَيْضَتَيْنِ فِي مَكَانِهِمَا.» ثُمَّ حَلَّقَ عَالِيًا فَوْقَ قِمَمِ الْأَشْجَارِ؛ لِكَيَ يَنْظُرَ لِأَسْفَلَ نَحْوَ الشَّجَرَةِ الَّتِي تَحْمِلُ عُشَّ أحمر الذيل الْقَدِيمَ عِنْدَمَا يَمُرُّ فَوْقَهَا. لَوْ كَانَ أَحَدٌ رَآهُ، مَا كَانَ ظَنَّ قَطُّ أَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ بِعَيْنِهِ؛ فَقَدْ بَدَا كَمَا لَوْ كَانَ يُحَلِّقُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ. وَإِذَا مَا كَانَتِ الْبَيْضَتَانِ فِي مَكَانِهِمَا، كَانَ يَنْوِي الْعَوْدَةَ وَالِاخْتِبَاءَ عَلَى قِمَّةِ شَجَرَةِ صَنَوْبَرٍ قَرِيبَةٍ لِكَيْ يُرَاقِبَهُمَا حَتَّى يَتَأَكَّدَ مِنْ إِمْكَانِيَّةِ سَرِقَتِهِمَا بِأَمَانٍ، أَوْ حَتَّى يَعْرِفَ لِمَنْ هُمَا.

خَفَقَ قَلْبُ بلاكي بِسُرْعَةٍ مِنْ فَرْطِ الْإِثَارَةِ إِذِ اقْتَرَبَ مِنْ ذَلِكَ الْعُشِّ الْقَدِيمِ. أَسَتَكُونُ هَاتَانِ الْبَيْضَتَانِ الْكَبِيرَتَانِ هُنَاكَ؟ رُبَّمَا يَجِدُ ثَلَاثَ بَيْضَاتٍ! وَهَذِهِ الْفِكْرَةُ جَعَلَتْهُ يُرَفْرِفُ بِجَنَاحَيْهِ أَسْرَعَ قَلِيلًا. لَمْ يَتَبَقَّ إِلَّا بِضْعُ خَفَقَاتٍ بِجَنَاحَيْهِ حَتَّى يَصِيرَ فَوْقَ الشَّجَرَةِ. كَمْ كَانَ يَتَمَنَّى رُؤْيَةَ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ! كَانَ يَكَادُ يَرَى مَا دَاخِلَ الْعُشِّ. خَفْقَةٌ وَاحِدَةٌ، خَفْقَتَانِ، ثَلَاثُ خَفَقَاتٍ! عَضَّ بلاكي لِسَانَهُ لِيَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنْ إِطْلَاقِ نَعِيقٍ حَادٍّ مِنْ فَرْطِ الْإِحْبَاطِ وَالدَّهْشَةِ.

لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ بَيْضَاتٌ! أَجَلْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أَثَرٌ لِبَيْضٍ فِي ذَلِكَ الْعُشِّ الْقَدِيمِ. لَمْ تَكُنِ الْبَيْضَتَانِ مَوْجُودَتَيْنِ؛ لِأَنَّ ... مَاذَا تَعْتَقِدُ؟ لَمْ تَكُنِ الْبَيْضَتَانِ مَوْجُودَتَيْنِ؛ لِأَنَّ بلاكي رَأَى أَسْفَلَهُ مُبَاشَرَةً كُتْلَةً مِنَ الرِّيشِ أَخْفَتْهُمَا عَنِ الْأَنْظَارِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي حَاجَةٍ لِلنَّظَرِ مَرَّةً أُخْرَى لِيَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الْكُتْلَةَ الْكَبِيرَةَ مِنَ الرِّيشِ مَا هِيَ إِلَّا طَائِرٌ ضَخْمٌ؛ الطَّائِرُ صَاحِبُ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ.

لَمْ يَعُدْ بلاكي أَدْرَاجَهُ كَمَا خَطَّطَ سَابِقًا، وَإِنَّمَا وَاصَلَ طَيَرَانَهُ كَمَا لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَرَ شَيْئًا، وَارْتَجَفَ قَلِيلًا أَثْنَاءَ الطَّيَرَانِ. ارْتَجَفَ بلاكي؛ إِذْ تَخَيَّلَ مَا كَانَ سَيَحْدُثُ لَهُ لَوْ أَنَّهُ حَاوَلَ سَرِقَةَ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ وَأُمْسِكَ بِهِ.

وَقَالَ لِنَفْسِهِ: «حَمْدًا لِلهِ أَنَّنِي كُنْتُ حَكِيمًا بِأَنْ تَرَكْتُهُمَا وَشَأْنَهُمَا. الْغَرِيبُ أَنَّنِي لَمْ أُخَمِّنْ قَطُّ مَنْ صَاحِبُهُمَا. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ أَعْرِفَ أَنَّهُ لَنْ يُفَكِّرَ فِي وَضْعِ الْبَيْضِ فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ إِلَّا ذَكَرُ الْبُومَةِ الْقَرْنَاءِ هوتي. وَقَدْ كَانَتِ السَّيِّدَةُ هوتي هِيَ مَنْ رَأَيْتُ فِي الْعُشِّ الْآنَ. وَيَا لَلْهَوْلِ! كَمْ هِيَ ضَخْمَةٌ! إِنَّهَا أَكْبَرُ مِنَ السَّيِّدِ هوتي نَفْسِهِ! مِنْ حُسْنِ الْحَظِّ أَنَّنِي لَمْ أُحَاوِلْ أَنْ أَحْصُلَ عَلَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ أَمْسِ. فَعَلَى الْأَرْجَحِ كَانَ السَّيِّدُ وَالسَّيِّدَةُ هوتي جَالِسَيْنِ قَرِيبًا مِنْهُمَا، وَلَكِنْ فِي سُكُونٍ بَالِغٍ حَتَّى إِنِّي ظَنَنْتُهُمَا جُزْءًا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي يَجْلِسَانِ عَلَيْهَا. آهٍ يَا بلاكي! كُلَّمَا أَسْرَعْتَ بِنِسْيَانِ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، كَانَ ذَلِكَ أَفْضَلَ.»

ثَمَّةَ أَشْيَاءُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَنْسَاهَا
بِمُجَرَّدِ أَنْ تَعْرِفَهَا.
فَمَنْ لَا يَلْعَبُ بِالنَّارِ
لَا يُحْرِقُهُ لَهِيبُهَا.

الفصل الرابع

دَهَاءُ بلاكي

عِنْدَمَا اكْتَشَفَ بلاكي أَنَّ الْبَيْضَتَيْنِ الْمَوْجُودَتَيْنِ فِي الْعُشِّ الْقَدِيمِ لِلصَّقْرِ أحمر الذيل فِي ذَلِكَ الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ تَعُودَانِ لِلسَّيِّدِ هوتي؛ اتَّخَذَ قَرَارًا مُمْتَازًا دُونَ تَرَدُّدٍ؛ وَهُوَ أَنَّهُ سَوْفَ يَنْسَى أَمْرَهُمَا تَمَامًا. سَوْفَ يَنْسَى تَمَامًا أَنَّهُ رَآهُمَا وَيَبْقَى بَعِيدًا عَنْ هَذَا الرُّكْنِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. كَانَ هَذَا قَرَارًا حَكِيمًا لِلْغَايَةِ؛ فَمِنْ بَيْنِ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ جَمِيعًا، لَا يُوجَدُ مَنْ هُوَ أَشَدُّ عُنْفًا أَوْ شَرَاسَةً مِنَ السَّيِّدِ هوتي، مَا عَدَا السَّيِّدَةَ هوتي. فَهِيَ أَضْخَمُ مِنَ السَّيِّدِ هوتي وَجَدِيرَةٌ تَمَامًا بِأَنْ يَخَافَهَا سُكَّانُ الْغَابَةِ الصِّغَارُ كَمَا يَخَافُونَ زَوْجَهَا.

كَانَ بلاكي يَعِي ذَلِكَ كُلَّهُ، أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ أَحَدٍ آخَرَ. وَلَيْسَ بلاكي بِمَنْ يُوقِعُ نَفْسَهُ فِي الْمَتَاعِبِ بِإِرَادَتِهِ؛ لِذَا قَرَّرَ بِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ أَنْ يَنْسَى أَمْرَ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ. وَكَمَا تَعْلَمُونَ فَإِنَّ اتِّخَاذَ الْقَرَارِ أَمْرٌ، وَالِالْتِزَامَ بِهِ أَمْرٌ آخَرُ تَمَامًا؛ فَقَدْ كَانَ مِنَ السَّهْلِ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ سَيَنْسَى، وَلَكِنَّ الْفِعْلَ أَصْعَبُ بِكَثِيرٍ. كَانَ الْوَضْعُ سَيَخْتَلِفُ لَوْ أَنَّهُ كَانَ فِي الرَّبِيعِ أَوْ فِي بِدَايَةِ الصَّيْفِ؛ حَيْثُ يَتَوَافَرُ كَثِيرٌ مِنَ الْبَيْضِ يُمْكِنُ أَنْ يَحْصُلَ عَلَيْهِ أَيُّ شَخْصٍ لَدَيْهِ مَا يَكْفِي مِنَ الذَّكَاءِ لِلْعُثُورِ عَلَى الْبَيْضِ وَسَرِقَتِهِ. وَلَكِنْ بِمَا أَنَّ الْوَقْتَ كَانَ شِتَاءً آنَذَاكَ (وَهُوَ وَقْتٌ يُسْتَبْعَدُ أَنْ يَضَعَ فِيهِ أَحَدٌ بَيْضًا!) وَكَانَ مِنَ الصَّعْبِ إِيجَادُ مَا يَكْفِي مِنَ الطَّعَامِ لِسَدِّ جُوعِ الْغُرَابِ الْجَائِعِ، فَإِنَّ صُورَةَ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ ظَلَّتْ تُلِحُّ عَلَى فِكْرِهِ؛ فَقَدْ «عَجَزَ» عَنْ نِسْيَانِهِمَا. وَبَعْدَ فَتْرَةٍ، كَفَّ عَنْ مُحَاوَلَةِ نِسْيَانِهِمَا.

وَإِنَّ بلاكي يَتَّسِمُ بِقَدْرٍ كَبِيرٍ مِنَ الدَّهَاءِ، وَهُوَ أَحَدُ أَذْكَى الطُّيُورِ الصَّغِيرَةِ. فَلَا أَحَدَ أَقْدَرُ مِنْهُ عَلَى تَدْبِيرِ الْحِيَلِ لِلْآخَرِينَ دُونَ الْوُقُوعِ فِي الْمَتَاعِبِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يُعْمِلُ ذَكَاءَهُ

الْحَادَّ. بَلْ إِنَّ الْبَعْضَ بَلَغَتْ بِهِ الْقَسْوَةُ حَدَّ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ يَقْضِي وَقْتَ فَرَاغِهِ كُلَّهُ فِي تَدْبِيرِ الْحِيَلِ. وَكُلَّمَا فَكَّرَ أَكْثَرَ فِي هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، زَادَتْ رَغْبَتُهُ فِي الْحُصُولِ عَلَيْهِمَا، وَسُرْعَانَ مَا بَدَأَ يُحَاوِلُ إِيجَادَ طَرِيقَةٍ لِلْحُصُولِ عَلَيْهِمَا دُونَ أَنْ يُعَرِّضَ حَيَاتَهُ لِلْخَطَرِ.

فَكَّرَ قَائِلًا: «لَا أَسْتَطِيعُ فِعْلَ ذَلِكَ بِمُفْرَدِي، وَلَكِنِّي إِذَا أَطْلَعْتُ أَحَدًا عَلَى سِرِّي فَسَوْفَ أُضْطَرُّ لِتَقَاسُمِ الْبَيْضَتَيْنِ مَعَهُ. وَهَذَا لَنْ يَكُونَ؛ فَأَنَا أُرِيدُهُمَا لِنَفْسِي. أَنَا وَجَدْتُهُمَا، وَيَنْبَغِي أَنْ أَحْصُلَ عَلَيْهِمَا.» وَنَسِيَ تَمَامًا — أَوْ تَنَاسَى — حَقِيقَةَ أَنَّ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ تَخُصَّانِ فِي الْوَاقِعِ السَّيِّدَ وَالسَّيِّدَةَ هوتي دُونَ سِوَاهُمَا. وَفَكَّرَ: «لِأَرَ مَاذَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَفْعَلَ!»

رَاحَ يُفَكِّرُ وَيُفَكِّرُ، وَشَيْئًا فَشَيْئًا بَدَأَتْ تَتَبَلْوَرُ فِي رَأْسِهِ الْأَسْوَدِ الصَّغِيرِ خُطَّةٌ. ثُمَّ قَهْقَهَ ضَاحِكًا. قَهْقَهَ ضَاحِكًا بِصَوْتٍ عَالٍ، ثُمَّ نَظَرَ مِنْ حَوْلِهِ بِسُرْعَةٍ لِيَرَى مَا إِذَا كَانَ أَحَدٌ قَدْ سَمِعَهُ. لَمْ يَسْمَعْهُ أَحَدٌ، فَقَهْقَهَ ضَاحِكًا مَرَّةً أُخْرَى. ثُمَّ أَمَالَ رَأْسَهُ جَانِبًا وَعَيْنَاهُ نِصْفُ مُغْمَضَتَيْنِ، كَمَا لَوْ كَانَتِ الْخُطَّةُ شَيْئًا يُمْكِنُهُ أَنْ يَرَاهُ وَكَانَ يُمْعِنُ النَّظَرَ فِيهِ. ثُمَّ أَمَالَ رَأْسَهُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ وَأَعَادَ الْكَرَّةَ.

وَأَخِيرًا قَالَ: «لَا بَأْسَ! سَتَكُونُ تِلْكَ الْخُطَّةُ مُمْتِعَةً لِأَقَارِبِي، وَهُمْ بِالطَّبْعِ سَيَكُونُونَ مُمْتَنِّينَ لِي كَثِيرًا لِذَلِكَ. وَلَنْ تُؤْذِيَ السَّيِّدَ وَالسَّيِّدَةَ هوتي الْبَتَّةَ، وَلَكِنَّهَا سَوْفَ تُغْضِبُهُمَا كَثِيرًا؛ فَهُمَا سَرِيعَا الْغَضَبِ، وَالْأَشْخَاصُ سَرِيعُو الْغَضَبِ غَالِبًا مَا يَنْسَوْنَ كُلَّ شَيْءٍ فِي غَضَبِهِمْ. سَوْفَ نَزُورُهُمَا عِنْدَمَا تَكُونُ الشَّمْسُ سَاطِعَةً؛ لِأَنَّهُمَا حِينَهَا رُبَّمَا لَنْ يَسْتَطِيعَا أَنْ يَرَيَا جَيِّدًا حَتَّى يُمْسِكَا بِنَا، وَسَنَغِيظُهُمَا حَتَّى يَشْتَاطَا غَضَبًا وَيَنْسَيَا أَمْرَ حِرَاسَةِ الْبَيْضَتَيْنِ. وَحِينَهَا سَوْفَ أَنْسَلُّ وَآخُذُ وَاحِدَةً مِنْهُمَا وَرُبَّمَا الِاثْنَتَيْنِ. بِذَلِكَ سَيُسَاعِدُنِي أَصْدِقَائِي وَأَقَارِبِي فِي الْحُصُولِ عَلَى وَجْبَةٍ شَهِيَّةٍ دُونَ عِلْمٍ مِنْهُمْ. يَا إِلَهِي! كَمْ سَتَكُونُ هَاتَانِ الْبَيْضَتَانِ لَذِيذَتَيْنِ!»

كَانَتْ خُطَّةً ذَكِيَّةً وَمَاكِرَةً؛ فَبلاكي وَغْدٌ ذَكِيٌّ مَاكِرٌ، وَلَكِنَّهَا بِالطَّبْعِ خُطَّةٌ لَا تَسْتَحِقُّ النَّجَاحَ؛ فَأَيُّ شَيْءٍ يُسَبِّبُ قَلَقًا وَمَتَاعِبَ لَا دَاعِيَ لَهُمَا لِلْآخَرِينَ لَا يَسْتَحِقُّ النَّجَاحَ.

الفصل الخامس

بلاكي يَسْتَدْعِي أَصْدِقَاءَهُ

عِنْدَمَا يَنْعِقُ بلاكي بِمِلْءِ فِيهِ،
يُهْرَعُ أَقَارِبُهُ
إِلَى حَيْثُ يَنْتَظِرُ ذَلِكَ الدَّاهِيَةُ.

إِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّهُ ثَمَّةَ حِيلَةٌ وَشِيكَةٌ، وَدَائِمًا مَا تَكُونُ عَائِلَةُ الْغِرْبَانِ مُسْتَعِدَّةً لِلْحِيَلِ. لِذَا فِي هَذَا الصَّبَاحِ، عِنْدَمَا سَمِعُوا بلاكي يُطْلِقُ عَقِيرَتَهُ بِالنَّعِيقِ مِنْ نَاحِيَةِ أَطْوَلِ شَجَرَةِ صَنَوْبَرٍ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، هُرِعُوا إِلَيْهِ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ، مُنَادِينَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِحَمَاسٍ وَكُلُّهُمْ ثِقَةٌ فِي أَنَّهُمْ سَيُمْضُونَ وَقْتًا طَيِّبًا.

ضَحِكَ بلاكي بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ عِنْدَمَا رَآهُمْ قَادِمِينَ، وَصَاحَ قَائِلًا: «هَيَّا أَسْرِعُوا، كَاوْ! كَاوْ! كَاوْ! أَسْرِعُوا وَاخْفِقُوا بِأَجْنِحَتِكُمْ أَسْرَعَ. أَعْرِفُ مَكَانَ السَّيِّدِ هوتي، وَسَوْفَ نَقْضِي وَقْتًا مُمْتِعًا مَعَهُ.»

فَصَاحَ جَمِيعُ أَقَارِبِهِ فِي سُرُورٍ: «كَاوْ! كَاوْ! كَاوْ! أَيْنَ هُوَ؟ خُذْنَا إِلَيْهِ. سَوْفَ نَدْفَعُهُ إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ!»

فَقَادَ بلاكي أَقَارِبَهُ إِلَى ذَاكَ الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَاتَّجَهَ مُبَاشَرَةً نَحْوَ الشَّجَرَةِ الَّتِي يَنَامُ فِيهَا السَّيِّدُ هوتي هَانِئًا. كَانَ بلاكي قَدْ حَرَصَ عَلَى التَّسَلُّلِ مُبَكِّرًا ذَاكَ الصَّبَاحَ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ مَكَانِهِ تَحْدِيدًا. فَوَجَدَ هوتي مُسْتَغْرِقًا فِي النَّوْمِ، وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَبْقَى فِي مَكَانِهِ حَتَّى يَجِنَّ اللَّيْلُ. وَكَمَا تَعْلَمُونَ، فَإِنَّ عَيْنَيْ هوتي لَا تَعْمَلَانِ جَيِّدًا فِي الضَّوْءِ السَّاطِعِ، وَكُلَّمَا اشْتَدَّ سُطُوعُ الضَّوْءِ، أُجْهِدَتْ عَيْنَاهُ أَكْثَرَ. كَانَ بلاكي يَعْلَمُ ذَلِكَ أَيْضًا؛

لِذَا اخْتَارَ أَكْثَرَ أَوْقَاتِ النَّهَارِ سُطُوعًا لِمُنَادَاةِ أَقْرِبَائِهِ حَتَّى يُضَايِقُوا هوتي الْمِسْكِينَ. كَانَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ الْمَرِحُ شَدِيدَ السُّطُوعِ، وَجَعَلَهُ الثَّلْجُ الْأَبْيَضُ عَلَى الْأَرْضِ يَبْدُو أَكْثَرَ سُطُوعًا. وَحَتَّى بلاكي نَفْسُهُ اضْطُرَّ لِأَنْ يَطْرِفَ بِعَيْنَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الضَّوْءِ، وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ هوتي الْمِسْكِينَ سَيُوَاجِهُ صُعُوبَةً أَكْبَرَ.

وَلَكِنْ كَانَ ثَمَّةَ أَمْرٌ وَاحِدٌ حَرَصَ بلاكي عَلَى أَلَّا يُشِيرَ إِلَيْهِ بِأَيِّ شَكْلٍ؛ وَهُوَ أَنَّ السَّيِّدَةَ هوتي كَانَتْ تَجْلِسُ بِالْقُرْبِ مِنَ السَّيِّدِ هوتي. فَالسَّيِّدَةُ هوتي أَكْبَرُ مِنَ السَّيِّدِ هوتي حَجْمًا وَأَشْرَسُ مِنْهُ، وَلَمْ يَكُنْ بلاكي يَرْغَبُ فِي إِثَارَةِ ذُعْرِ أَقَارِبِهِ الْأَقَلِّ جُرْأَةً. وَمَا كَانَ يَأْمُلُ فِي حُدُوثِهِ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهِ الْمَاكِرِ هُوَ أَنَّهُمْ عِنْدَمَا يَبْدَءُونَ فِي إِغَاظَةِ السَّيِّدِ هوتي وَمُضَايَقَتِهِ وَإِحْدَاثِ الْجَلَبَةِ الْعَالِيَةِ الَّتِي يَعْرِفُ أَنَّهُمْ سَيُحْدِثُونَهَا، سَوْفَ تَغْضَبُ السَّيِّدَةُ هوتي وَتَطِيرُ لِتَنْضَمَّ إِلَى السَّيِّدِ هوتي فِي مُحَاوَلَةِ إِبْعَادِ تِلْكَ الطُّيُورِ السَّوْدَاءِ الْمُزْعِجَةِ. وَحِينَهَا يَتَسَلَّلُ بلاكي إِلَى الْعُشِّ الَّذِي تَرَكَتْهُ دُونَ حِرَاسَةٍ وَيَسْرِقُ بَيْضَةً أَوْ رُبَّمَا يَسْرِقُ الْبَيْضَتَيْنِ اللَّتَيْنِ يَعْرِفُ بِوُجُودِهِمَا فِيهِ.

عِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي يَجْلِسُ عَلَيْهَا هوتي، كَانَ يَطْرِفُ بِعَيْنَيْهِ الصَّفْرَاوَيْنِ الْوَاسِعَتَيْنِ وَقَدِ انْتَفَشَ رِيشُهُ، وَهُوَ مَا يَفْعَلُهُ عِنْدَمَا يَغْضَبُ، لِيَبْدُوَ ضِعْفَ حَجْمِهِ الْحَقِيقِيِّ. بِالطَّبْعِ، كَانَ هوتي قَدْ سَمِعَ السِّرْبَ الْمُزْعِجَ قَادِمًا، وَعَلِمَ تَمَامًا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَقَّعَهُ مِنْهُمْ. وَمَا إِنْ رَأَوْهُ، حَتَّى بَدَءُوا فِي الصِّيَاحِ بِأَعَلَى صَوْتِهِمْ وَسَبِّهِ بِأَقْذَعِ الْأَلْفَاظِ. وَكَانَ أَجْرَؤُهُمْ يَنْقَضُّ عَلَيْهِ كَمَا لَوْ كَانَ سَيَنْتَزِعُ مِلْءَ فَمِهِ مِنْ رِيشِهِ، وَلَكِنْ مَعَ تَوَخِّي أَشَدِّ الْحَذَرِ مِنْ أَنْ يَدْنُوَ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنَ اللَّازِمِ. فَطَرِيقَةُ فَحِيحِ هوتي وَطَقْطَقَةِ مِنْقَارِهِ الْكَبِيرِ كَانَتْ تُنْذِرُ بِخَطَرٍ بَالِغٍ، وَكَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِذَا مَا أَمْسَكَ بِأَحَدِهِمْ بَيْنَ مَخَالِبِهِ الْقَوِيَّةِ الْكَبِيرَةِ، فَسَتَكُونُ نِهَايَتُهُ.

وَلِذَا اكْتَفَوْا بِسَبِّهِ وَالصِّيَاحِ عَلَيْهِ وَالتَّحْلِيقِ حَوْلَهُ، بَعِيدًا عَنْ مُتَنَاوَلِ مَخَالِبِهِ، وَبِإِشْعَارِهِ بِالِانْزِعَاجِ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ، وَكَانُوا مُنْهَمِكِينَ لِلْغَايَةِ فِي ذَلِكَ حَتَّى إِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَلْحَظْ أَنَّ بلاكي لَمْ يَشْتَرِكْ فِي اللَّهْوِ، وَلَمْ يَنْتَبِهْ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِعُشِّ الصَّقْرِ أحمر الذيل الْقَدِيمِ عَلَى بُعْدِ بِضْعِ أَشْجَارٍ. فَحَتَّى تِلْكَ اللَّحْظَةِ، كَانَتْ خُطَطُ بلاكي تَسِيرُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي أَمَّلَهُ.

الفصل السادس

السَّيِّدُ هوتي لَمْ يَبْقَ فِي مَكَانِهِ

مَا جَدْوَى الْخُطَطِ الذَّكِيَّةِ
إِنْ لَمْ يَسِرِ الْآخَرُونَ عَلَيْهَا؟

إِذَا لَمْ يَكُنْ بلاكي قَالَ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ فَكَّرَ فِيهِ. فَهُوَ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ وَضَعَ خُطَّةً بَارِعَةً مِنْ أَجْلِ الْحُصُولِ عَلَى بَيْضَتَيِ السَّيِّدِ هوتي؛ خُطَّةً ذَكِيَّةً وَبَارِعَةً لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ آخَرُ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ أَوْ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ لِيُفَكِّرَ فِيهَا. وَلَكِنْ كَانَتْ ثَمَّةَ نُقْطَةُ ضَعْفٍ وَحِيدَةٌ بِهَا؛ وَهِيَ أَنَّهَا كَانَتْ تَعْتَمِدُ فِي نَجَاحِهَا عَلَى أَنْ يَلْزَمَ هوتي سُلُوكَهُ الْمُعْتَادَ عِنْدَمَا يُضَايِقُهُ سِرْبٌ مِنَ الْغِرْبَانِ الْمُزْعِجَةِ؛ أَلَا وَهُوَ الْبَقَاءُ فِي مَكَانِهِ حَتَّى تَتْعَبَ الْغِرْبَانُ وَتَطِيرَ بَعِيدًا.

بلاكي أَحْيَانًا مَا يَقَعُ فِي خَطَأٍ كَثِيرًا مَا يَقَعُ فِيهِ الْأَذْكِيَاءُ؛ فَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ بِمَا أَنَّهُ ذَكِيٌّ لِلْغَايَةِ فَالْآخَرُونَ أَغْبِيَاءُ. وَهُنَا يُثْبِتُ أَنَّهُ، رَغْمَ ذَكَائِهِ، لَيْسَ ذَكِيًّا بِالدَّرَجَةِ الَّتِي يَظُنُّهَا. فَهُوَ دَائِمًا مَا كَانَ يَظُنُّ السَّيِّدَ هوتي غَبِيًّا. هَذَا هُوَ مَا كَانَ يَرَاهُ فِيهِ أَثْنَاءَ النَّهَارِ. وَلَكِنْ فِي اللَّيْلِ، عِنْدَمَا يَسْتَيْقِظُ مِنْ نَوْمٍ عَمِيقٍ عَلَى صَوْتِ نَعِيقِ هوتي الْمُجَلْجِلِ إِذْ يَصْطَادُ، لَا يَظَلُّ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّ هوتي غَبِيٌّ، وَكَانَ دَائِمًا مَا يَحْرِصُ عَلَى الْبَقَاءِ ثَابِتًا فِي الظَّلَامِ؛ خَشْيَةَ أَنْ تَسْمَعَهُ أُذُنَا هوتي الْكَبِيرَتَانِ، وَتَجِدَهُ عَيْنَا هوتي الْوَاسِعَتَانِ الْمُخَصَّصَتَانِ لِلرُّؤْيَةِ فِي الظَّلَامِ. فَأَثْنَاءَ اللَّيْلِ كَانَ بلاكي يَفْقِدُ يَقِينَهُ فِي غَبَاءِ هوتي تَمَامًا.

وَلَكِنَّهُ فِي النَّهَارِ كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُ غَبِيٌّ؛ فَقَدْ نَسِيَ تَمَامًا حَقِيقَةَ أَنَّ ضَوْءَ النَّهَارِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى هوتي مِثْلُ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ. فَبَقَاءُ هوتي فِي مَكَانِهِ وَفَحِيحُهُ وَطَقْطَقَتُهُ

بِمِنْقَارِهِ — عِوَضًا عَنْ مُحَاوَلَةِ إِمْسَاكِ الْمُزْعِجِينَ أَوِ الطَّيَرَانِ بَعِيدًا — جَعَلَتْ بلاكي يَصِفُهُ بِالْغَبَاءِ. وَكَانَ مُتَيَقِّنًا مِنْ أَنَّ هوتي سَيَبْقَى فِي مَكَانِهِ، وَيَأْمُلُ أَنْ تَغْضَبَ السَّيِّدَةُ هوتي وَتَتْرُكَ الْعُشَّ الَّذِي تَرْقُدُ فِيهِ عَلَى الْبَيْضَتَيْنِ وَتَنْضَمَّ إِلَى هوتي لِمُسَاعَدَتِهِ فِي إِبْعَادِ هَذَا السِّرْبِ الْمُزْعِجِ.

لَكِنَّ هوتي لَيْسَ غَبِيًّا، لَيْسَ غَبِيًّا عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ فَفِي اللَّحْظَةِ الَّتِي اكْتَشَفَ فِيهَا أَنَّ بلاكي وَأَصْدِقَاءَهُ عَرَفُوا مَكَانَهُ، فَكَّرَ فِي السَّيِّدَةِ هوتي وَالْبَيْضَتَيْنِ الْغَالِيَتَيْنِ الْمَوْجُودَتَيْنِ فِي الْعُشِّ الْقَدِيمِ لِلصَّقْرِ أحمر الذيل عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهُ.

فَفَكَّرَ قَائِلًا لِنَفْسِهِ: «يَجِبُ أَلَّا نُزْعِجَ السَّيِّدَةَ هوتي. هَذَا لَنْ يَكُونَ. يَجِبُ أَنْ أُبْعِدَ هَؤُلَاءِ الْأَوْغَادَ السُّودَ بَعِيدًا حَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُونَ اكْتِشَافَ مَكَانِ السَّيِّدَةِ هوتي. لَا بُدَّ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ وَلَا شَكَّ.»

لِذَا بَسَطَ جَنَاحَيْهِ الْكَبِيرَيْنِ وَطَارَ مَسَافَةً قَصِيرَةً بَيْنَ الْأَشْجَارِ مُتَرَنِّحًا. لَمْ يُحَلِّقْ بَعِيدًا لِأَنَّهُ فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي بَدَأَ فِيهَا الطَّيَرَانَ تَبِعَهُ السِّرْبُ الْمُزْعِجُ كُلُّهُ بِاسْتِثْنَاءِ بلاكي. وَلِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ اسْتِخْدَامَ مَخَالِبِهِ أَوْ مِنْقَارِهِ أَثْنَاءَ الطَّيَرَانِ، ازْدَادَتْ جُرْأَتُهُمْ حَتَّى اقْتَلَعُوا بَعْضَ الرِّيشِ مِنْ ظَهْرِهِ؛ لِذَا طَارَ مَسَافَةً قَصِيرَةً حَتَّى شَجَرَةِ شَوْكَرَانٍ كَثِيفَةِ الْأَغْصَانِ؛ حَيْثُ لَنْ تَسْتَطِيعَ الْغِرْبَانُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ بِسُهُولَةٍ وَلَنْ يُؤْذِيَهُ ضَوْءُ النَّهَارِ كَثِيرًا. وَهُنَاكَ ارْتَاحَ قَلِيلًا ثُمَّ أَعَادَ الْكَرَّةَ. كَانَ يَنْوِي تَوْجِيهَ تِلْكَ الْغِرْبَانِ الْمُزْعِجَةِ نَحْوَ الْجُزْءِ الْمُظْلِمِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَهُنَاكَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرَى أَفْضَلَ وَرُبَّمَا يَتَهَوَّرُ أَحَدُهُمْ بِمَا يَكْفِي لِأَنْ يَقْتَرِبَ حَتَّى يَصِيرَ فِي مُتَنَاوَلِ يَدِهِ. لَمْ يَكُنْ هوتي غَبِيًّا. هَذَا مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ.

انْتَبَهَ بلاكي لِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ بَيْنَمَا كَانَ قَابِعًا عَلَى قِمَّةِ شَجَرِ صَنَوْبَرٍ عَالِيَةٍ يُرَاقِبُ الْمَوْقِفَ فِي صَمْتٍ. كَانَ يَرَى السَّيِّدَةَ هوتي فِي الْعُشِّ، وَبَيْنَمَا كَانَتْ ضَوْضَاءُ مُزْعِجِي السَّيِّدِ هوتي تَبْتَعِدُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ، اعْتَدَلَتْ فِي رَقْدَتِهَا وَأَغْمَضَتْ عَيْنَيْهَا. تَخَيَّلَ بلاكي أَنَّهَا تَبْتَسِمُ لِنَفْسِهَا، وَكَانَ وَاضِحًا أَنَّهَا لَا تُفَكِّرُ مُطْلَقًا فِي الذَّهَابِ لِمُسَاعَدَةِ هوتي. لَقَدْ فَشِلَتْ خُطَّتُهُ الرَّائِعَةُ؛ لِأَنَّ هوتي الْغَبِيَّ — وَالَّذِي لَمْ يَكُنْ غَبِيًّا عَلَى الْإِطْلَاقِ — طَارَ بَعِيدًا عِنْدَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَبْقَى فِي مَكَانِهِ. كَانَ ذَلِكَ أَمْرًا مُسْتَفِزًّا لِلْغَايَةِ.

الفصل السابع

بلاكي يُجَرِّبُ خُطَّةً جَدِيدَةً

عِنْدَمَا تَفْشَلُ خُطَّةٌ، جَرِّبْ غَيْرَهَا؛
أَعْلِنْ أَنَّكَ سَتَفُوزُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَوْ بِغَيْرِهَا.

النَّاجِحُونَ هُمُ الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ لَا يَسْتَسْلِمُونَ لِأَنَّهُمْ أَخْفَقُوا فِي التَّجْرِبَةِ الْأُولَى. إِنَّهُمُ الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ — بِمُجَرَّدِ أَنْ تَفْشَلَ خُطَّةٌ — يَنْشَغِلُونَ عَلَى الْفَوْرِ بِتَدْبِيرِ أُخْرَى وَتَجْرِيبِهَا. وَإِذَا كَانَ مَا يُحَاوِلُونَ فِعْلَهُ أَمْرًا صَالِحًا، فَعَاجِلًا أَوْ آجِلًا سَوْفَ يَنْجَحُونَ. وَإِذَا كَانُوا يُحَاوِلُونَ فِعْلًا مُنْكَرًا، فَفِي أَغْلَبِ الْأَحْوَالِ تَفْشَلُ خُطَطُهُمْ، وَهَذَا مَا تَسْتَحِقُّهُ.

يَعْلَمُ الْغُرَابُ بلاكي قِيمَةَ الْمُثَابَرَةِ. وَهُوَ لَا يَيْئَسُ بِسُهُولَةٍ. أَحْيَانًا يَكُونُ ذَلِكَ مَدْعَاةً لِلْأَسَفِ؛ لِأَنَّهُ يُدَبِّرُ كَثِيرًا مِنَ الْحِيَلِ. وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ تَظَلُّ أَنَّهُ لَا يَيْئَسُ بِسُهُولَةٍ، وَيَظَلُّ يُحَاوِلُ وَيُحَاوِلُ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ التَّفْكِيرَ فِي خُطَّةٍ أُخْرَى، وَعِنْدَهَا «يُضْطَرُّ» لِلِاسْتِسْلَامِ. وَعِنْدَمَا دَعَا أَقَارِبَهُ كُلَّهُمْ لِلِانْضِمَامِ إِلَيْهِ فِي إِزْعَاجِ السَّيِّدِ هوتي، اعْتَقَدَ أَنَّ لَدَيْهِ خُطَّةً لَا يُمْكِنُ أَنْ تَفْشَلَ. وَكَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّ السَّيِّدَةَ هوتي سَوْفَ تَتْرُكُ عُشَّهَا وَتُسَاعِدُ هوتي فِي إِبْعَادِ الْمُزْعِجِينَ. وَلَكِنَّ السَّيِّدَةَ هوتي لَمْ تَفْعَلْ؛ لِأَنَّ هوتي كَانَ ذَكِيًّا وَفَطِنًا بِمَا يَكْفِي لِأَنْ يُوَجِّهَ هَؤُلَاءِ الْمُزْعِجِينَ بَعِيدًا عَنِ الْعُشِّ نَحْوَ الْجُزْءِ الْمُظْلِمِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ حَيْثُ لَنْ تُزْعِجَ ضَوْضَاؤُهُمُ السَّيِّدَةَ هوتي. لِذَا اعْتَدَلَتْ فِي رَقْدَتِهَا عَلَى الْبَيْضَتَيْنِ اللَّتَيْنِ كَانَ بلاكي يَأْمُلُ أَنْ تَمْنَحَهُ فُرْصَةً لِسَرِقَتِهِمَا، وَبِهَذَا أَفْسَدَتْ خُطَّتَهُ الْمُحْكَمَةَ.

لَمْ يَلْحَظْ أَحَدٌ مِنْ أَقَارِبِهِ هَذَا الْعُشَّ؛ حَيْثُ كَانُوا مَشْغُولِينَ تَمَامًا بِإِغَاظَةِ هوتي. وَهَذَا مَا كَانَ بلاكي يَأْمُلُ فِي حُدُوثِهِ. فَلَمْ يَكُنْ يَرْغَبُ فِي أَنْ يَعْلَمُوا بِأَمْرِ الْعُشِّ؛ لِأَنَّهُ أَنَانِيٌّ وَأَرَادَ

أَنْ يَحْصُلَ عَلَى الْبَيْضَتَيْنِ وَحْدَهُ. وَلَكِنَّهُ أَدْرَكَ أَنَّ الطَّرِيقَةَ الْوَحِيدَةَ لِجَعْلِ السَّيِّدَةِ هوتي تَقُومُ مِنْ عَلَى الْبَيْضَتَيْنِ هِيَ مُضَايَقَتُهَا حَتَّى تَغْضَبَ وَتُحَاوِلَ الْإِمْسَاكَ بِمُضَايِقِيهَا. وَإِذَا فَعَلَتْ ذَلِكَ، فَسَتَسْنَحُ الْفُرْصَةُ لِأَنْ يَتَسَلَّلَ وَيَأْخُذَ بَيْضَةً وَاحِدَةً عَلَى الْأَقَلِّ مِنَ الْبَيْضَتَيْنِ. وَقَرَّرَ أَنْ يُحَاوِلَ تَجْرِبَةَ ذَلِكَ.

أَصَاخَ بلاكي السَّمْعَ بِضْعَ دَقَائِقَ مُصْغِيًا إِلَى ضَوْضَاءِ أَقَارِبِهِ الَّتِي رَاحَتْ تَخْفُتُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا، بَيْنَمَا رَاحَ هوتي يَتَوَغَّلُ بِهِمْ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ دَاخِلَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. وَحِينَهَا فَتَحَ فَمَهُ.

صَاحَ بلاكي مُنَادِيًا: «كَاوْ كَاوْ كَاوْ! كَاوْ كَاوْ كَاوْ كَاوْ! عُودُوا إِلَى هُنَا جَمِيعًا! هَا هِيَ السَّيِّدَةُ هوتي فِي عُشِّهَا! كَاوْ كَاوْ كَاوْ كَاوْ!»

مَا إِنْ سَمِعَ أَقَارِبُ بلاكي ذَلِكَ، حَتَّى تَوَقَّفُوا عَنْ مُطَارَدَةِ السَّيِّدِ هوتي وَإِزْعَاجِهِ وَعَادُوا بِأَقْصَى سُرْعَةٍ؛ فَهُمْ لَمْ يُحِبُّوا الْجُزْءَ الْمُظْلِمَ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، الَّذِي كَانَ هوتي يَقُودُهُمْ إِلَيْهِ. كَمَا أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَرَوْا ذَلِكَ الْعُشَّ؛ لِذَا عَادُوا مُطْلِقِينَ عَقِيرَتَهُمْ بِالنَّعِيقِ مِنْ فَرْطِ حَمَاسِهِمْ. فَبَعْضُهُمْ لَمْ يَكُنْ قَدْ رَأَى عُشًّا لِهوتي مِنْ قَبْلُ. وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ، فَقَدْ كَانَ إِزْعَاجُ السَّيِّدَةِ هوتي مُمْتِعًا بِنَفْسِ الْقَدْرِ كَإِزْعَاجِ السَّيِّدِ هوتي.

صَاحُوا قَائِلِينَ: «أَيْنَ الْعُشُّ؟» بَيْنَمَا عَادُوا إِلَى حَيْثُ كَانَ بلاكي يَنْعِقُ مُتَظَاهِرًا بِبَالِغِ الْإِثَارَةِ.

فَقَالَ أَحَدُهُمْ مُتَعَجِّبًا: «عَجَبًا! هَذَا هُوَ الْعُشُّ الْقَدِيمُ لِلصَّقْرِ أحمر الذيل. إِنَّنِي أَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ هَذَا الْعُشِّ.» وَنَظَرَ إِلَى بلاكي كَمَا لَوْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَخْدَعُهُمْ.

فَرَدَّ بلاكي قَائِلًا: «كَانَ عُشَّ أحمر الذيل، وَلَكِنَّهُ الْآنَ عُشُّ هوتي. إِذَا كُنْتَ لَا تُصَدِّقُنِي، فَأَلْقِ نَظْرَةً بِدَاخِلِهِ.»

وَفِي لَمْحِ الْبَصَرِ حَلَّقُوا جَمِيعًا فَوْقَ قِمَّةِ الشَّجَرَةِ؛ حَيْثُ يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى الْعُشِّ. وَبِالْفِعْلِ، كَانَتِ السَّيِّدَةُ هوتي قَابِعَةً فِيهِ وَعَيْنَاهَا الْكَبِيرَتَانِ الْمُسْتَدِيرَتَانِ الصَّفْرَاوَانِ تَنْظُرَانِ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ. وَيَا لَلْجَلَبَةِ الَّتِي ثَارَتْ! عَلَى الْفَوْرِ نَسِيَتِ الْغِرْبَانُ أَمْرَ السَّيِّدِ هوتي، وَفَوْرًا بَدَأَ السِّرْبُ كُلُّهُ يُضَايِقُ السَّيِّدَةَ هوتي. كَانَ بلاكي هُوَ الْوَحِيدَ الَّذِي جَلَسَ يُشَاهِدُ فِي صَمْتٍ، مُنْتَظِرًا غَضَبَ السَّيِّدَةِ هوتي وَمُحَاوَلَتِهَا إِمْسَاكَ أَحَدِ مُضَايِقِيهَا. كَانَ لَدَيْهِ أَمَلٌ — أَمَلٌ كَبِيرٌ — فِي أَنْ يَحْصُلَ عَلَى إِحْدَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ.

الفصل الثامن

هوتي يَهُبُّ لِنَجْدَةِ السَّيِّدَةِ هوتي

لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَعِيشَ لِنَفْسِهِ فَقَطْ. يَعْتَقِدُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَشْخَاصِ أَنَّهُمْ يُمْكِنُهُمْ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ مُخْطِئُونَ لِلْغَايَةِ. وَهُمْ يَقَعُونَ فِي خَطَأٍ مِنْ أَعْظَمِ الْأَخْطَاءِ فِي الْعَالَمِ؛ فَكُلُّ فِعْلٍ صَغِيرٍ — أَيًّا كَانَ — يُؤَثِّرُ فِي شَخْصٍ آخَرَ. وَهَذَا هُوَ أَحَدُ الْقَوَانِينِ الْعَظِيمَةِ لَدَى الطَّبِيعَةِ الْأُمِّ الْعَجُوزِ، وَيَسْرِي بَيْنَ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، وَكَذَلِكَ بَيْنَ الْأَوْلَادِ وَالْبَنَاتِ وَالْبَالِغِينَ. إِنَّهَا طَرِيقَةُ الطَّبِيعَةِ الْأُمِّ الْعَجُوزِ لِجَعْلِنَا مَسْئُولِينَ عَنِ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ وَلِتَعْلِيمِنَا أَنَّهُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَاوَنَ دَوْمًا.

وَكَمَا تَعْلَمُونَ، عِنْدَمَا نَادَى بلاكي جَمِيعَ أَقَارِبِهِ لِلْمَجِيءِ إِلَى الْعُشِّ الَّذِي تَرْقُدُ فِيهِ السَّيِّدَةُ هوتي عَلَى بَيْضَتَيْهَا، تَوَقَّفُوا عَلَى الْفَوْرِ عَنْ مُضَايَقَةِ هوتي وَتَرَكُوهُ وَحِيدًا عَلَى شَجَرَةِ الشَّوْكَرَانِ كَثِيفَةِ الْأَغْصَانِ فِي الْجَانِبِ الْمُظْلِمِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. بِالطَّبْعِ كَانَ هوتي مَسْرُورًا لِأَنَّهُمْ تَرَكُوهُ فِي سَلَامٍ، وَكَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَقْضِيَ بَقِيَّةَ النَّهَارِ نَائِمًا مُسْتَرِيحًا فِي هَذَا الْمَكَانِ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ... أَجَلْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ. فِي الْبِدَايَةِ تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ وَاسْتَقَرَّ فِي مَجْلِسِهِ كَمَا لَوْ أَنَّهُ يَنْوِي الْبَقَاءَ. وَأَنْصَتَ فِي سُرُورٍ لِأَصْوَاتِ تِلْكَ الْغِرْبَانِ الْمُزْعِجَةِ وَهِيَ تَخْفُتُ شَيْئًا فَشَيْئًا. وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ لِبِضْعِ دَقَائِقَ فَحَسْبُ. فَسُرْعَانَ مَا بَدَأَتِ الْأَصْوَاتُ تَتَعَالَى، وَبَدَتْ فِيهَا الْإِثَارَةُ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى، وَكَانَتْ تَأْتِي مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ. حِينَهَا عَلِمَ هوتي أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُزْعِجِينَ قَدِ اكْتَشَفُوا الْعُشَّ الَّذِي تَقْبَعُ فِيهِ السَّيِّدَةُ هوتي، وَأَنَّهُمْ يُزْعِجُونَهَا كَمَا كَانُوا يُزْعِجُونَهُ.

طَقْطَقَ مِنْقَارَهُ بِغَضَبٍ ثُمَّ أَعَادَ الْكَرَّةَ بِغَضَبٍ أَشَدَّ.

وَتَمْتَمَ مُتَذَمِّرًا: «أَعْتَقِدُ أَنَّ السَّيِّدَةَ هوتي قَادِرَةٌ تَمَامًا عَلَى الِاعْتِنَاءِ بِنَفْسِهَا، وَلَكِنْ لَا يَنْبَغِي إِزْعَاجُهَا بَيْنَمَا تَرْقُدُ عَلَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ. أَكْرَهُ أَنْ أَعُودَ إِلَى هُنَاكَ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ السَّاطِعِ؛ فَهُوَ يُؤْذِي عَيْنَيَّ، وَأَنَا أَكْرَهُ ذَلِكَ، وَلَكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّنِي سَأُضْطَرُّ لِلْعَوْدَةِ إِلَى هُنَاكَ؛ فَالسَّيِّدَةُ هوتي تَحْتَاجُ مُسَاعَدَتِي. كُنْتُ أُفَضِّلُ الْبَقَاءَ هُنَا، وَلَكِنْ ...»

لَمْ يُنْهِ كَلَامَهُ، وَإِنَّمَا بَسَطَ جَنَاحَيْهِ الْكَبِيرَيْنِ وَحَلَّقَ عَائِدًا إِلَى الْعُشِّ وَإِلَى السَّيِّدَةِ هوتي. لَمْ يُحْدِثْ جَنَاحَاهُ الْكَبِيرَانِ أَيَّ صَوْتٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمَا مُعَدَّانِ لِلطَّيَرَانِ فِي صَمْتٍ. وَقَالَ مُتَمْتِمًا: «إِذَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أُمْسِكَ بِأَحَدِ هَؤُلَاءِ الْغِرْبَانِ! إِذَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أُمْسِكَ بِأَحَدِ هَؤُلَاءِ الْغِرْبَانِ، فَسَوْفَ ...» وَلَمْ يَقُلْ مَاذَا سَيَفْعَلُ، وَلَكِنْ إِذَا كُنْتَ قَرِيبًا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي لِسَمَاعِ طَقْطَقَةِ مِنْقَارِهِ، كُنْتَ سَتُخَمِّنُ الْبَقِيَّةَ.

طَوَالَ ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَتِ الْغِرْبَانُ تَقْضِي مَا تُسَمِّيهِ وَقْتًا مُمْتِعًا مَعَ السَّيِّدَةِ هوتي، وَلَكِنْ لَا مُتْعَةَ حَقِيقِيَّةَ فِي عَمَلٍ يُزْعِجُ الْآخَرِينَ، غَيْرَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَشْخَاصِ يَنْسَوْنَ ذَلِكَ لِسَبَبٍ أَوْ لِآخَرَ. وَبَيْنَمَا جَلَسَ بلاكي يَتَفَرَّجُ، رَاحَ أَقَارِبُهُ يُثِيرُونَ ضَجَّةً عَظِيمَةً حَوْلَ السَّيِّدَةِ هوتي، وَكُلَّمَا ازْدَادَ غَضَبُهَا، ازْدَادَ صِيَاحُهُمْ وَسَبُّهُمْ لَهَا وَانْقِضَاضُهُمْ عَلَيْهَا، مُتَظَاهِرِينَ بِأَنَّهُمْ سَيُقَاتِلُونَهَا. كَانَ الْغِرْبَانُ مُنْهَمِكِينَ لِلْغَايَةِ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ بلاكي مُنْهَمِكًا تَمَامًا فِي مُرَاقَبَتِهِمْ — آمِلًا أَنْ تَتْرُكَ السَّيِّدَةُ هوتي الْعُشَّ وَتَمْنَحُهُ الْفُرْصَةَ لِسَرِقَةِ الْبَيْضَتَيْنِ اللَّتَيْنِ يَعْرِفُ أَنَّهَا تَرْقُدُ عَلَيْهِمَا — حَتَّى إِنَّ أَحَدًا لَمْ يُفَكِّرْ فِي السَّيِّدِ هوتي.

وَفَجْأَةً، ظَهَرَ هوتي عَلَى الشَّجَرَةِ الْمُلَاصِقَةِ لِلْعُشِّ! لَمْ يَسْمَعْهُ أَحَدُهُمْ قَادِمًا، وَلَكِنَّهُ ظَهَرَ فَجْأَةً، وَقَدْ أَمْسَكَ بَيْنَ مَخَالِبِ إِحْدَى قَدَمَيْهِ رِيشَ ذَيْلِ أَحَدِ أَقَارِبِ بلاكي. كَانَ الْغُرَابُ مَحْظُوظًا، مَحْظُوظًا لِلْغَايَةِ بِالْفِعْلِ؛ حَيْثُ كَانَ ضَوْءُ الشَّمْسِ يُعْمِي عَيْنَيْ هوتي، فَلَمْ يُصِبْ هَدَفَهُ. وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَتِ الْغِرْبَانُ قَلَّتْ وَاحِدًا.

وَإِنَّ إِغَاظَةَ بُومَةٍ وَاحِدَةٍ شَيْءٌ، وَإِغَاظَةَ بُومَتَيْنِ مَعًا شَيْءٌ آخَرُ تَمَامًا. وَإِلَى جَانِبِ ذَلِكَ، كَانَتْ هُنَاكَ رِيشَاتُ الذَّيْلِ السَّوْدَاءُ الَّتِي يَحْمِلُهَا الْهَوَاءُ نَحْوَ الْأَرْضِ الْمُغَطَّاةِ بِالثُّلُوجِ. وَفَجْأَةً قَرَّرَتِ الْغِرْبَانُ أَنَّهَا قَدْ حَصَلَتْ عَلَى مَا يَكْفِي مِنَ الْمُتْعَةِ لِهَذَا الْيَوْمِ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ جُهُودِ بلاكي لِإِيقَافِهِمْ، حَلَّقُوا بَعِيدًا، صَائِحِينَ بِصَوْتٍ عَالٍ وَمُتَحَاوِرِينَ بِجَلَبَةٍ شَدِيدَةٍ. كَانَ بلاكي آخِرَ مَنْ غَادَرَ الْمَكَانَ، كَسِيرَ الْفُؤَادِ. وَرَاحَ يُفَكِّرُ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ.

الفصل التاسع

بلاكي يُفَكِّرُ فِي ابْنِ الْمُزَارِعِ براون

قَالَ بلاكي مُتَذَمِّرًا: «يَا لَهُ مِنْ حَظٍّ سَيِّئٍ!» بَيْنَمَا طَارَ نَحْوَ شَجَرَتِهِ الْمُفَضَّلَةِ لِيُفَكِّرَ قَلِيلًا. وَأَرْدَفَ لِنَفْسِهِ: «حَظٌّ سَيِّئٌ بِالْفِعْلِ! كُلُّ جِيرَانِي يَعْرِفُونَ الْآنَ بِأَمْرِ عُشِّ السَّيِّدِ هوتي، وَعَاجِلًا أَوْ آجِلًا، سَوْفَ يَكْتَشِفُ أَحَدُهُمْ أَنَّ بِهِ بَيْضَتَيْنِ. لَكِنَّ عَزَائِيَ الْوَحِيدَ هُوَ أَنَّنِي إِذَا لَمْ أَسْتَطِعِ الْحُصُولَ عَلَيْهِمَا، فَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ. بِمَعْنًى آخَرَ، لَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدُ أَقَارِبِي الْحُصُولَ عَلَيْهِمَا؛ فَقَدْ حَاوَلْتُ بِكُلِّ مَا خَطَرَ عَلَى بَالِي مِنْ سُبُلٍ، وَمَا زَالَتْ هَاتَانِ الْبَيْضَتَانِ حَيْثُ هُمَا. يَا إِلَهِي! كَمْ أَوَدُّ الْحُصُولَ عَلَى إِحْدَاهُمَا الْآنَ!»

بَعْدَ ذَلِكَ، فَعَلَ بلاكي شَيْئًا كَثِيرًا مَا يَفْعَلُهُ الْأَشْرَارُ عِنْدَمَا تَخِيبُ آمَالُهُمْ؛ إِذْ بَدَأَ فِي إِلْقَاءِ اللَّوْمِ عَلَى الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ كَانَ يُحَاوِلُ الْإِضْرَارَ بِهِمْ لِفَشَلِ خُطَطِهِ. وَإِذَا كُنْتَ سَمِعْتَهُ بَيْنَمَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ، كُنْتَ ظَنَنْتَ أَنَّ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ مِلْكُهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّيِّدَ وَالسَّيِّدَةَ هوتي قَدْ سَرَقَاهُمَا مِنْهُ. أَجَلْ! هَذَا مَا كُنْتَ سَتُفَكِّرُ فِيهِ إِذَا اسْتَطَعْتَ سَمَاعَهُ بَيْنَمَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ عَلَى قِمَّةِ الشَّجَرَةِ. وَهُوَ فِي غَمْرَةِ إِحْبَاطِهِ لِعَدَمِ حُصُولِهِ عَلَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، كَانَ يَرْثِي حَالَهُ، حَتَّى إِنَّهُ شَعَرَ حَقًّا بِأَنَّ الظُّلْمَ وَقَعَ عَلَيْهِ هُوَ؛ وَأَنَّهُ كَانَ يَجِبُ عَلَى السَّيِّدِ وَالسَّيِّدَةِ هوتي أَنْ يَسْمَحَا لَهُ بِالْحُصُولِ عَلَى الْبَيْضَتَيْنِ.

بِالطَّبْعِ كَانَتْ تِلْكَ حَمَاقَةً خَالِصَةً، وَلَكِنَّهُ أَقْنَعَ نَفْسَهُ بِهَا، أَوْ عَلَى الْأَقَلِّ، تَظَاهَرَ بِاقْتِنَاعِهِ بِهَا. وَكُلَّمَا ازْدَادَ تَظَاهُرُهُ بِذَلِكَ، ازْدَادَ غَضَبُهُ. وَهَذَا غَالِبًا مَا يَحْدُثُ لِلْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يُحَاوِلُونَ إِيذَاءَ الْآخَرِينَ. فَهُمْ يَغْضَبُونَ مِنَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يُحَاوِلُونَ إِيذَاءَهُمْ. وَعِنْدَمَا اضْطُرَّ بلاكي فِي النِّهَايَةِ إِلَى أَنْ يُقِرَّ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ التَّفْكِيرَ فِي طَرِيقَةٍ

أُخْرَى لِلْحُصُولِ عَلَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، بَدَأَ فِي التَّسَاؤُلِ عَمَّا إِذَا كَانَ ثَمَّةَ طَرِيقَةٌ لِإِيقَاعِ السَّيِّدِ وَالسَّيِّدَةِ هوتي فِي الْمَتَاعِبِ. وَحِينَهَا فَكَّرَ فِي ابْنِ الْمُزَارِعِ براون.

بَرَقَتْ عَيْنَا بلاكي؛ إِذْ تَذَكَّرَ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون كَانَ فِي الْمَاضِي يَسْعَدُ بِسَرِقَةِ أَعْشَاشِ الطُّيُورِ. فَقَدْ رَآهُ بلاكي يَأْخُذُ الْبَيْضَ مِنْ أَعْشَاشِ أَقَارِبِ بلاكي نَفْسِهِ وَمِنْ أَعْشَاشِ كَثِيرٍ مِنَ الطُّيُورِ الْأُخْرَى. لَمْ يَكُنْ لَدَى بلاكي أَيَّةُ فِكْرَةٍ عَمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ بِالْبَيْضِ، وَلَمْ يَهْتَمَّ بِذَلِكَ آنَذَاكَ. فَإِذَا اكْتَشَفَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون عُشَّ هوتي مُصَادَفَةً، فَمِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ سَيَأْخُذُ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، وَحِينَهَا يَرْتَاحُ بلاكي إِلَى حَدٍّ مَا. فَسَوْفَ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ نَالَ انْتِقَامَهُ مِنْ هوتي.

عَلَى الْفَوْرِ بَدَأَ بلاكي التَّفْكِيرَ فِي طَرِيقَةٍ يَسْتَدْرِجُ بِهَا ابْنَ الْمُزَارِعِ براون إِلَى ذَلِكَ الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ حَيْثُ يَقَعُ عُشُّ هوتي. وَإِذَا اسْتَطَاعَ اجْتِذَابَهُ إِلَى هُنَاكَ، فَإِنَّهُ مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون سَوْفَ يَرَى الْعُشَّ وَيَتَسَلَّقُ الشَّجَرَةَ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهِ، وَعِنْدَهَا سَيَأْخُذُ الْبَيْضَتَيْنِ بِلَا شَكٍّ. فَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ بلاكي أَنْ يَأْخُذَ الْبَيْضَتَيْنِ لِنَفْسِهِ، فَإِنَّ أَفْضَلَ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ هُوَ أَنْ يَرَى أَحَدًا غَيْرَهُ يَأْخُذُهُمَا.

يَا إِلَهِي! يَا إِلَهِي! يَا لَهَا مِنْ أَفْكَارٍ بَغِيضَةٍ! أَخْشَى أَنَّ قَلْبَ بلاكي أَسْوَدُ كَلَوْنِ رِيشِهِ، وَالْأَسْوَأُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَجِدُ مُتْعَةً كَبِيرَةً فِي تَنْفِيذِ خُطَطِهِ الشِّرِّيرَةِ. وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ يَعِي تَمَامًا فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ أَنَّهَا خُطَطٌ شِرِّيرَةٌ، فَقَدْ حَاوَلَ اخْتِلَاقَ الْأَعْذَارِ لِنَفْسِهِ.

فَقَالَ لِنَفْسِهِ: «إِنَّ هوتي لِصٌّ، وَالْجَمِيعُ يَخَافُونَهُ؛ فَهُوَ يَقْتَاتُ عَلَى الْآخَرِينَ. وَعَلَى حَدِّ عِلْمِي، فَإِنَّهُ لَا يَفْعَلُ أَيَّ خَيْرٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ. وَهُوَ ضَخْمٌ وَشَرِسٌ وَلَا أَحَدَ يُحِبُّهُ. وَسَتَكُونُ الْغَابَةُ الْخَضْرَاءُ مَكَانًا أَفْضَلَ مِنْ دُونِهِ. وَإِذَا فُقِسَتْ هَاتَانِ الْبَيْضَتَانِ، فَسَتُخْرِجَانِ بُومَتَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ تَحْتَاجَانِ إِلَى الطَّعَامِ، وَسَوْفَ تَكْبُرَانِ لِتُصْبِحَا بُومَتَيْنِ ضَخْمَتَيْنِ، مِثْلَ أُمِّهِمَا وَأَبِيهِمَا. فَإِذَا أَرَيْتُ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون هَذَا الْعُشَّ وَأَخَذَ الْبَيْضَتَيْنِ، فَسَأَكُونُ قَدْ فَعَلْتُ خَيْرًا بِجِيرَانِي.»

هَكَذَا حَدَّثَ بلاكي نَفْسَهُ وَحَاوَلَ إِسْكَاتَ الصَّوْتِ الْخَافِتِ الصَّغِيرِ دَاخِلَهُ الَّذِي حَاوَلَ أَنْ يُخْبِرَهُ أَنَّ مَا يُخَطِّطُ لَهُ أَمْرٌ بَغِيضٌ حَقًّا. وَظَلَّ طَوَالَ الْوَقْتِ يَرْتَقِبُ قُدُومَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون.

الفصل العاشر

ابْنُ الْمُزَارِعِ براون وَهوتي

كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَدْ قَرَّرَ زِيَارَةَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. جُزْءٌ مِنَ السَّبَبِ فِي ذَلِكَ كَانَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ شَيْءٌ آخَرُ يَفْعَلُهُ، وَالْجُزْءُ الْآخَرُ كَانَ أَنَّ الشِّتَاءَ كَانَ قَدْ شَارَفَ عَلَى الِانْتِهَاءِ وَأَرَادَ أَنْ يَتَفَقَّدَ أَحْوَالَ الْغَابَةِ، وَيَرَى مَا إِذَا كَانَ ثَمَّةَ مَا يَدُلُّ عَلَى اقْتِرَابِ قُدُومِ الرَّبِيعِ. رَآهُ الْغُرَابُ بلاكي قَادِمًا، وَضَحِكَ فِي نَفْسِهِ؛ فَقَدْ كَانَ يَتَرَقَّبُ حُدُوثَ ذَلِكَ كُلَّ يَوْمٍ طَوَالَ أُسْبُوعٍ. وَصَارَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يُخْبِرَ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون بِشَأْنِ عُشِّ هوتي.

طَارَ بلاكي إِلَى الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ؛ حَيْثُ بَنَى السَّيِّدُ وَالسَّيِّدَةُ هوتي عُشَّهُمَا، وَبَدَأَ يَنْعِقُ فَوْرًا بِأَعْلَى صَوْتِهِ مُتَظَاهِرًا بِأَنَّهُ مُتَحَمِّسٌ لِلْغَايَةِ لِاكْتِشَافِهِ شَيْئًا مَا.

صَاحَ بلاكي: «كَاوْ! كَاوْ! كَاوْ! كَاوْ!» وَفِي التَّوِّ أَسْرَعَ إِلَيْهِ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ أَقَارِبِهِ. فَقَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ كَانَ يُزْعِجُ هوتي وَأَرَادُوا مُشَارَكَتَهُ اللَّهْوَ. وَسُرْعَانَ مَا ثَارَتْ ضَجَّةٌ كَبِيرَةٌ فِي ذَلِكَ الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ.

بِالطَّبْعِ سَمِعَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون هَذِهِ الضَّجَّةَ، فَتَوَقَّفَ وَأَنْصَتَ، وَقَالَ: «يَا تُرَى مَاذَا وَجَدَ بلاكي وَأَصْدِقَاؤُهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ؟ عِنْدَمَا يُصْدِرُونَ ضَجِيجًا مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ، عَادَةً مَا يَكُونُ ثَمَّةَ أَمْرٌ يَسْتَحِقُّ الْمُشَاهَدَةَ. أَعْتَقِدُ أَنَّنِي سَأَذْهَبُ وَأُلْقِي نَظْرَةً.»

فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَإِذْ رَاحَ يَدْنُو، تَحَرَّكَ بِحَذَرٍ شَدِيدٍ لِكَيْ يَرَى أَكْثَرَ مَا يَسْتَطِيعُ رُؤْيَتَهُ دُونَ إِخَافَةِ الْغِرْبَانِ؛ فَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ بِمُجَرَّدِ أَنْ يَرَوْهُ سَوْفَ يَطِيرُونَ بَعِيدًا، وَذَلِكَ رُبَّمَا يُنَبِّهُ الطَّائِرَ الَّذِي يُزْعِجُونَهُ، فَهُوَ يَعْلَمُ جَيِّدًا طَبْعَ

الْغِرْبَانِ، حَتَّى إِنَّهُ صَارَ يَعْرِفُ أَنَّهُمْ حِينَمَا يُحْدِثُونَ مِثْلَ ذَلِكَ الضَّجِيجِ، فَإِنَّهُمْ يُزْعِجُونَ أَحَدَهُمْ.

كَانَ بلاكي أَوَّلَ مَنْ رَآهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَرْتَقِبُ قُدُومَهُ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْبِسْ بِبِنْتِ شَفَةٍ حَتَّى دَنَا ابْنُ الْمُزَارِعِ براون كَثِيرًا إِلَى أَنْ لَمْ يَعُدْ ثَمَّةَ مَفَرٌّ مِنْ أَنْ يَرَى ذَلِكَ الْعُشَّ وَهوتي نَفْسَهُ، الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ مُنْتَصِبًا وَيُطَقْطِقُ بِمِنْقَارِهِ غَضَبًا مِنْ مُزْعِجِيهِ. بَعْدَ ذَلِكَ أَطْلَقَ بلاكي الْإِنْذَارَ، وَعَلَى الْفَوْرِ طَارَتْ كُلُّ الْغِرْبَانِ لِأَعْلَى وَتَوَجَّهَتْ نَحْوَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، مُطْلِقَةً عَقِيرَتَهَا بِالنَّعِيقِ. ذَهَبَ بلاكي مَعَهُمْ لِمَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ، وَفِي أَوَّلِ فُرْصَةٍ لَاحَتْ لَهُ انْفَصَلَ عَنِ السِّرْبِ وَطَارَ عَائِدًا فِي هُدُوءٍ إِلَى مَكَانٍ يَسْتَطِيعُ مِنْهُ أَنْ يَرَى كُلَّ مَا قَدْ يَحْدُثُ عِنْدَ عُشِّ هوتي.

عِنْدَمَا وَقَعَتْ عَيْنَا ابْنِ الْمُزَارِعِ براون عَلَى الْعُشِّ وَرَأَى الْغِرْبَانَ تَنْقَضُّ عَلَيْهِ وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهَا الْإِثَارَةُ، شَعَرَ بِالْحَيْرَةِ.

فَكَّرَ قَائِلًا: «هَذَا عُشٌّ قَدِيمٌ لِلصَّقْرِ أحمر الذيل. لَقَدْ وَجَدْتُهُ فِي الرَّبِيعِ الْمَاضِي، فَمَا الَّذِي قَدْ يُثِيرُ الْغِرْبَانَ فِيهِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ؟»

ثُمَّ رَأَى ذَكَرَ الْبُومَةِ هوتي، فَهَتَفَ قَائِلًا: «آهْ! هَكَذَا إِذَنْ. لَقَدْ عَثَرَ هَؤُلَاءِ الْأَوْغَادُ عَلَى هوتي وَمَا انْفَكُّوا يُضَايِقُونَهُ. تُرَى مَا الَّذِي يَفْعَلُهُ هُنَاكَ؟»

لَمْ يَعُدْ يُحَاوِلُ الِاخْتِبَاءَ، وَإِنَّمَا سَارَ إِلَى أَسْفَلِ الشَّجَرَةِ مُبَاشَرَةً، نَاظِرًا لِأَعْلَى طَوَالَ الْوَقْتِ. فَرَآهُ هوتي وَلَكِنَّهُ عِوَضًا عَنْ أَنْ يُحَلِّقَ بَعِيدًا، رَاحَ يُطَقْطِقُ بِمِنْقَارِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ مَعَ الْغِرْبَانِ وَيُصْدِرُ فَحِيحًا.

فَكَّرَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَائِلًا: «هَذَا غَرِيبٌ. لَوْ أَنَّنِي لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْعُشَّ هُوَ الْعُشُّ الْقَدِيمُ لِلصَّقْرِ أحمر الذيل، وَلَوْ لَمْ نَكُنْ مَا زِلْنَا فِي نِهَايَةِ الشِّتَاءِ، لَكُنْتُ ظَنَنْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ عُشُّ هوتي.»

دَارَ الصَّبِيُّ حَوْلَ الشَّجَرَةِ وَهُوَ يَنْظُرُ لِأَعْلَى. وَفَجْأَةً انْتَفَضَ دَهْشَةً. هَلْ هَذَا ذَيْلٌ يَبْرُزُ مِنْ حَافَةِ الْعُشِّ؟ فَأَمْسَكَ بِعَصًا وَأَلْقَاهَا لِأَعْلَى، فَضَرَبَتْ قَاعِدَةَ الْعُشِّ، وَطَارَ مِنْهُ طَائِرٌ ضَخْمٌ. كَانَ هَذَا الطَّائِرُ هُوَ السَّيِّدَةَ هوتي! فَضَحِكَ الْغُرَابُ بلاكي فِي سِرِّهِ.

الفصل الحادي عشر

ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَتَعَرَّضُ لِلْإِغْرَاءِ

عِنْدَمَا يُغْوِيكَ الْخَطَأُ
يَحِينُ وَقْتُ قُوَّتِكَ.
أَغْمِضْ عَيْنَيْكَ وَاقْبِضْ يَدَيْكَ؛
تَجِدْ عَوْنًا عَلَى رَغْبَتِكَ.

عِنْدَمَا يَكُونُ الطَّائِرُ رَاقِدًا فِي عُشٍّ، فَهَذِهِ عَلَامَةٌ مُؤَكَّدَةٌ عَلَى أَنَّ الْعُشَّ بِهِ شَيْءٌ قَيِّمٌ. إِنَّهَا عَلَامَةٌ عَلَى أَنَّ الطَّائِرَ اتَّخَذَهُ مَنْزِلًا؛ لِذَا، عِنْدَمَا رَأَى ابْنُ الْمُزَارِعِ براون السَّيِّدَةَ هوتي تَرْقُدُ فِي الْعُشِّ الْقَدِيمِ لِلصَّقْرِ أحمر الذيل فِي الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، عَلِمَ مَا يَعْنِيهِ ذَلِكَ. رُبَّمَا يَجْدُرُ بِي أَنْ أَقُولَ إِنَّهُ عَلِمَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْنِيَهُ ذَلِكَ. فَيَنْبَغِي أَنْ يَعْنِيَ ذَلِكَ وُجُودَ بَيْضٍ فِي الْعُشِّ.

لَكِنْ كَانَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَى ابْنِ الْمُزَارِعِ براون أَنْ يُصَدِّقَ ذَلِكَ؛ فَالرَّبِيعُ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ! وَكَانَتِ الثُّلُوجُ لَا تَزَالُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَلَا تَزَالُ الْبِرْكَةُ الْبَاسِمَةُ مُغَطَّاةً بِالْجَلِيدِ. مَنْ سَمِعَ بِطَائِرٍ يَضَعُ بَيْضًا فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ؟ بِالتَّأْكِيدِ لَيْسَ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون. إِلَّا أَنَّ السَّيِّدَ وَالسَّيِّدَةَ هوتي كَانَا يَتَصَرَّفَانِ تَمَامًا مِثْلَمَا تَتَصَرَّفُ الطُّيُورُ كُلُّهَا عِنْدَمَا يَكُونُ لَدَيْهَا بَيْضٌ تَخَافُ عَلَيْهِ. كَانَ الْأَمْرُ مُحَيِّرًا لِلْغَايَةِ.

تَمْتَمَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون لِنَفْسِهِ بَيْنَمَا كَانَ يُحَدِّقُ لِأَعْلَى نَحْوَ الْعُشِّ: «الصَّقْرُ أحمر الذيل هُوَ مَنْ بَنَى هَذَا الْعُشَّ وَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُصْلِحْهُ حَتَّى. وَإِذَا كَانَ هوتي وَزَوْجَتُهُ قَدِ اتَّخَذَاهُ مَنْزِلًا، فَإِنَّهُمَا لَا يَعْرِفَانِ شَيْئًا عَنْ بِنَاءِ الْأَعْشَاشِ. وَإِذَا كَانَتِ السَّيِّدَةُ هوتي قَدْ

وَضَعَتْ بَيْضًا فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ، فَلَا بُدَّ أَنَّهَا مَجْنُونَةٌ. أَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ إِلَّا بِتَسَلُّقِ الشَّجَرَةِ. إِنَّهَا تَبْدُو حَمَاقَةً، وَلَكِنِّي سَأَفْعَلُهَا. إِنَّ زَوْجَ الْبُومِ ذَاكَ يَتَصَرَّفُ بِالتَّأْكِيدِ كَمَا لَوْ كَانَ شَدِيدَ الْقَلَقِ عَلَى شَيْءٍ مَا، وَسَوْفَ أَكْتَشِفُ هَذَا الشَّيْءَ.»

نَظَرَ إِلَى السَّيِّدِ وَالسَّيِّدَةِ هوتي، وَإِلَى مِنْقَارَيْهِمَا الْمَعْقُوفَيْنِ وَمَخَالِبِهِمَا الْعَظِيمَةِ، وَقَرَّرَ أَنْ يَأْخُذَ مَعَهُ عَصًا غَلِيظَةً؛ فَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَرْغَبُ فِي الْوُقُوعِ بَيْنَ تِلْكَ الْمَخَالِبِ. وَعِنْدَمَا وَجَدَ عَصًا تُنَاسِبُهُ، بَدَأَ فِي تَسَلُّقِ الشَّجَرَةِ. طَقْطَقَ السَّيِّدُ وَالسَّيِّدَةُ هوتي بِمِنْقَارَيْهِمَا وَأَصْدَرَا فَحِيحًا شَرِسًا، وَاقْتَرَبَا مِنْهُ. ظَلَّ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يُرَاقِبُهُمَا. بَدَوَا ضَخْمَيْنِ وَشَرِسَيْنِ لِلْغَايَةِ، حَتَّى إِنَّهُ كَادَ يَسْتَسْلِمُ وَيَتْرُكُهُمَا فِي سَلَامٍ. وَلَكِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَكْتَشِفَ مَا إِذَا كَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ فِي الْعُشِّ؛ لِذَا وَاصَلَ التَّسَلُّقَ. وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ مِنَ الْعُشِّ، قَفَزَتِ السَّيِّدَةُ هوتي بِالْقُرْبِ مِنْهُ، وَطَقْطَقَتْ بِمِنْقَارِهَا مُصْدِرَةً صَوْتًا رَهِيبًا. فَأَمْسَكَ بِعَصَاهُ وَاسْتَعَدَّ لِلضَّرْبِ بِهَا وَوَاصَلَ صُعُودَهُ.

كَانَ الْعُشُّ عِبَارَةً عَنْ هَيْكَلٍ ضَخْمٍ يَتَكَوَّنُ مِنَ الْعِصِيِّ. وَعِنْدَمَا بَلَغَهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون، اكْتَشَفَ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِلَ إِلَى مَكَانٍ يَنْظُرُ مِنْهُ إِلَى دَاخِلِ الْعُشِّ؛ لِذَا مَدَّ يَدَهُ لِأَعْلَى وَتَحَسَّسَ مَا بِدَاخِلِهِ. وَعَلَى الْفَوْرِ تَقْرِيبًا لَمَسَتْ أَصَابِعُهُ شَيْئًا اقْشَعَرَّ لَهُ بَدَنُهُ. كَانَ هَذَا الشَّيْءُ بَيْضَةً، بَيْضَةً ضَخْمَةً كَبِيرَةً! لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ شَكٌّ فِي ذَلِكَ. وَقَدْ وَجَدَ صُعُوبَةً فِي تَصْدِيقِ ذَلِكَ مِثْلَمَا حَدَثَ لِبلاكي عِنْدَمَا رَأَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ. قَبَضَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون عَلَى الْبَيْضَةِ وَأَخْرَجَهَا مِنَ الْعُشِّ. قَفَزَتِ السَّيِّدَةُ هوتي قَرِيبًا جِدًّا مِنْهُ، وَكَادَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يُسْقِطُ الْبَيْضَةَ مِنْ يَدِهِ إِذْ لَوَّحَ بِعَصَاهُ فِي وَجْهِ السَّيِّدَةِ هوتي. وَحِينَهَا بَدَا أَنَّ السَّيِّدَ وَالسَّيِّدَةَ هوتي فَقَدَا شَجَاعَتَهُمَا وَانْسَحَبَا إِلَى شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ، حَيْثُ وَقَفَا يُطَقْطِقَانِ بِمِنْقَارَيْهِمَا وَيُطْلِقَانِ فَحِيحَهُمَا الْغَاضِبَ.

حِينَهَا نَظَرَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون إِلَى الْغَنِيمَةِ الَّتِي كَانَ مُمْسِكًا بِهَا فِي يَدِهِ. كَانَتْ بَيْضَةً كَبِيرَةً لَوْنُهَا أَبْيَضُ ضَارِبٌ إِلَى الصُّفْرَةِ. فَلَمَعَتْ عَيْنَاهُ. يَا لَهَا مِنْ غَنِيمَةٍ رَائِعَةٍ يُضِيفُهَا إِلَى مَجْمُوعَتِهِ مِنْ بَيْضِ الطُّيُورِ! كَانَتْ أَوَّلَ بَيْضَةِ بُومَةٍ قَرْنَاءَ — أَكْبَرِ أَنْوَاعِ الْبُومِ — يَرَاهَا فِي حَيَاتِهِ.

تَحَسَّسَ الْعُشَّ مِنْ دَاخِلِهِ مَرَّةً أُخْرَى وَاكْتَشَفَ وُجُودَ بَيْضَةٍ أُخْرَى، فَقَالَ: «سَوْفَ آخُذُ كِلْتَا الْبَيْضَتَيْنِ. إِنَّهُ أَوَّلُ عُشٍّ أَعْثُرُ عَلَيْهِ لِهوتي، وَرُبَّمَا لَا أَجِدُ عُشًّا آخَرَ مَا حَيِيتُ. يَا إِلَهِي! كَمْ أَنَا سَعِيدٌ بِمَجِيئِي إِلَى هُنَا لِمَعْرِفَةِ سَبَبِ الْجَلَبَةِ الَّتِي أَثَارَتْهَا تِلْكَ الْغِرْبَانُ. تُرَى هَلْ سَأَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْزِلَ بِهِمَا دُونَ أَنْ أَكْسِرَهُمَا؟»

وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ تَذَكَّرَ أَمْرًا؛ تَذَكَّرَ أَنَّهُ قَدْ تَوَقَّفَ عَنْ جَمْعِ الْبَيْضِ، وَتَذَكَّرَ أَنَّهُ قَرَّرَ أَلَّا يَأْخُذَ بَيْضَةَ طَائِرٍ مَرَّةً أُخْرَى.

هَمَسَ الشَّيْطَانُ الصَّغِيرُ بِدَاخِلِهِ: «وَلَكِنَّ هَذَا مُخْتَلِفٌ. لَيْسَ هَذَا كَأَخْذِ الْبَيْضِ مِنَ الطُّيُورِ الْمُغَرِّدَةِ الصَّغِيرَةِ.»

الفصل الثاني عشر

مَعْرَكَةٌ أَعْلَى شَجَرَةٍ

الْفَرْقُ بَيْنَ الْخَطَأِ وَالصَّوَابِ،
كَالْفَرْقِ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

لَيْسَ ثَمَّةَ شَيْءٌ فِي الْمُنْتَصَفِ؛ فَإِمَّا أَنَّ الشَّيْءَ خَطَأٌ وَإِمَّا أَنَّهُ صَوَابٌ، وَهَذِهِ هِيَ كُلُّ الْخِيَارَاتِ الْمُتَاحَةِ. وَلَكِنَّ مُعْظَمَ النَّاسِ يَجِدُونَ صُعُوبَةً كَبِيرَةً فِي إِدْرَاكِ ذَلِكَ عِنْدَمَا تَشْتَدُّ رَغْبَتُهُمْ فِي شَيْءٍ يُخْبِرُهُمْ صَوْتٌ مَا زَالَ خَافِتًا بِدَاخِلِهِمْ أَنَّهُ خَطَأٌ. فَيُحَاوِلُونَ أَنْ يَصِلُوا إِلَى حَلٍّ وَسَطٍ. وَالْحَلُّ الْوَسَطُ يَكُونُ بِأَلَّا تَفْعَلَ هَذَا الشَّيْءَ أَوْ ذَاكَ، وَلَكِنْ بَعْضًا مِنْ هَذَا وَبَعْضًا مِنْ ذَاكَ. وَلَكِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ فِي حَالَةِ الصَّوَابِ وَالْخَطَأِ. إِنَّهُ أَمْرٌ غَرِيبٌ، وَلَكِنَّ نِصْفَ الصَّوَابِ لَا يَرْقَى أَبَدًا لِمُسْتَوَى الصَّوَابِ الْكَامِلِ، بَيْنَمَا نِصْفُ الْخَطَأِ غَالِبًا — فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ — مَا يَكُونُ بِمِثْلِ سُوءِ الْخَطَأِ الْكَامِلِ.

كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون — إِذِ اعْتَلَى الشَّجَرَةَ بِجِوَارِ عُشِّ هوتي فِي الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ — يَخُوضُ مَعْرَكَةً. لَا، لَمْ يَكُنْ يَتَعَارَكُ مَعَ السَّيِّدِ هوتي أَوِ السَّيِّدَةِ هوتي، وَإِنَّمَا كَانَتِ الْمَعْرَكَةُ دَائِرَةً فِي دَاخِلِهِ. كَانَتْ مَعْرَكَةً بَيْنَ الصَّوَابِ وَالْخَطَأِ؛ فَفِي الْمَاضِي كَانَ يَجِدُ سَعَادَةً بَالِغَةً فِي جَمْعِ بَيْضِ الطُّيُورِ، مُحَاوِلًا مَعْرِفَةَ كَمْ مِنَ الْأَنْوَاعِ الْمُخْتَلِفَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَحْصُلَ عَلَيْهِ. وَلَكِنْ عِنْدَمَا ازْدَادَتْ مَعْرِفَتُهُ بِسُكَّانِ الْغَابَةِ وَالْمُرُوجِ الصِّغَارِ، أَدْرَكَ أَنَّ أَخْذَ بَيْضِ الطُّيُورِ خَطَأٌ لَا يُغْتَفَرُ، وَتَوَقَّفَ عَنْ سَرِقَتِهِ. وَتَعَهَّدَ بِأَلَّا يَسْرِقَ بَيْضَةً مِنْ طَائِرٍ ثَانِيَةً.

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ عَثَرَ مِنْ قَبْلُ عَلَى عُشٍّ لِلْبُومَةِ هوتي. فَكَانَتْ هَاتَانِ الْبَيْضَتَانِ سَتُمَثِّلَانِ إِضَافَةً عَظِيمَةً إِلَى مَجْمُوعَتِهِ. قَالَ لَهُ الصَّوْتُ الْخَافِتُ فِي دَاخِلِهِ: «خُذْهُمَا! إِنَّ هوتي لِصٌّ، إِنَّكَ سَتُسْدِي إِلَى الطُّيُورِ الْأُخْرَى مَعْرُوفًا بِأَخْذِ الْبَيْضَتَيْنِ.»

وَقَالَ صَوْتٌ خَافِتٌ آخَرُ: «لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ. رُبَّمَا كَانَ هوتي لِصًّا، وَلَكِنَّ لَهُ دَوْرًا فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَإِلَّا فَمَا كَانَتِ الطَّبِيعَةُ الْأُمُّ الْعَجُوزُ لِتَضَعَهُ هُنَا. وَسَرِقَةُ بَيْضَتَيْهِ لَا تَفْرِقُ شَيْئًا عَنْ سَرِقَةِ بَيْضَةِ أَيِّ طَائِرٍ آخَرَ، وَلَهُ حَقُّ الِاحْتِفَاظِ بِبَيْضَتَيْهِ مِثْلَ حَقِّ النِّمْنِمَةِ جيني فِي الِاحْتِفَاظِ بِبَيْضِهَا.»

قَالَ الصَّوْتُ الْأَوَّلُ: «خُذْ وَاحِدَةً وَاتْرُكِ الْأُخْرَى.»

فَرَدَّ الصَّوْتُ الثَّانِي: «سَرِقَةُ وَاحِدَةٍ كَسَرِقَةِ الِاثْنَتَيْنِ. وَعِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ، سَوْفَ تُخْلِفُ عَهْدَكَ؛ فَأَنْتَ قُلْتَ إِنَّكَ لَنْ تَأْخُذَ بَيْضَةً أُخْرَى أَبَدًا.»

قَالَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون بِصَوْتٍ عَالٍ: «أَنَا لَمْ أَعِدْ أَحَدًا سِوَايَ.» وَعَلَى وَقْعِ صَوْتِهِ، طَقْطَقَ السَّيِّدُ وَالسَّيِّدَةُ هوتي — الْجَالِسَانِ عَلَى الشَّجَرَةِ الْمُجَاوِرَةِ — بِمِنْقَارَيْهِمَا وَأَطْلَقَا فَحِيحًا أَعْلَى مِنْ ذِي قَبْلُ.

قَالَ الصَّوْتُ الْخَافِتُ الصَّالِحُ: «إِنَّ قَطْعَ الْوَعْدِ لِنَفْسِكَ مِثْلُ قَطْعِ الْوَعْدِ لِأَيِّ شَخْصٍ آخَرَ. وَلَا عَجَبَ فِي اسْتِهْجَانِ هوتي.»

قَالَ الصَّوْتُ الْخَافِتُ الْأَوَّلُ: «فَكِّرْ كَمْ سَتَبْدُو هَاتَانِ الْبَيْضَتَانِ جَمِيلَتَيْنِ وَسْطَ مَجْمُوعَتِكَ، وَكَمْ سَتَفْخَرُ بِعَرْضِهِمَا عَلَى الْأَوْلَادِ الْآخَرِينَ الَّذِينَ لَمْ يَعْثُرُوا مِنْ قَبْلُ عَلَى عُشٍّ لِهوتي.»

أَضَافَ الصَّوْتُ الْخَافِتُ الصَّالِحُ قَائِلًا: «وَفَكِّرْ كَمْ سَتَشْعُرُ بِالْوَضَاعَةِ وَالدَّنَاءَةِ وَالْحَقَارَةِ كُلَّمَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمَا. سَوْفَ تَكُونُ مُتْعَتُكَ أَكْبَرَ بِكَثِيرٍ إِذَا تَرَكْتَهُمَا تُفْقَسَانِ ثُمَّ رَاقَبْتَ الْبُومَتَيْنِ الصَّغِيرَتَيْنِ تَكْبُرَانِ وَتَتَعَلَّمَانِ طُرُقَ عَيْشِهِمَا. فَكِّرْ فَحَسْبُ فِي مَدَى شَجَاعَةِ هوتي وَجُرْأَتِهِ بِتَأْسِيسِهِ أُسْرَةً فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ، وَكَمْ هُوَ رَائِعٌ أَنْ تَسْتَطِيعَ السَّيِّدَةُ هوتي إِبْقَاءَ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ دَافِئَتَيْنِ وَالْعِنَايَةَ بِالْبُومَتَيْنِ الصَّغِيرَتَيْنِ عِنْدَمَا تُفْقَسَانِ، قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ الْآخَرُونَ فِي بِنَاءِ أَعْشَاشِهِمْ مِنَ الْأَسَاسِ. هَذَا إِلَى جَانِبِ أَنَّ الْخَطَأَ خَطَأٌ وَالصَّوَابَ صَوَابٌ دَائِمًا.»

مَدَّ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَدَهُ لِأَعْلَى فَوْقَ حَافَةِ الْعُشِّ بِبُطْءٍ وَأَعَادَ الْبَيْضَةَ، ثُمَّ بَدَأَ فِي النُّزُولِ مِنْ عَلَى الشَّجَرَةِ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى الْأَرْضِ، ابْتَعَدَ قَلِيلًا وَوَقَفَ يُرَاقِبُ الْعُشَّ. وَعَلَى الْفَوْرِ طَارَتِ السَّيِّدَةُ هوتي إِلَى الْعُشِّ وَرَقَدَتْ عَلَى الْبَيْضَتَيْنِ، بَيْنَمَا جَلَسَ السَّيِّدُ هوتي قَرِيبًا مِنْهَا لِحِرَاسَتِهَا.

قَالَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون: «أَنَا سَعِيدٌ لِأَنِّي لَمْ آخُذْهُمَا. أَجَلْ أَنَا سَعِيدٌ.»

وَإِذِ اسْتَدَارَ عَائِدًا أَدْرَاجَهُ إِلَى الْمَنْزِلِ، رَأَى الْغُرَابَ بلاكي مُحَلِّقًا فَوْقَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيُخَمِّنَ أَنَّهُ أَفْسَدَ خُطَطَ بلاكي.

الفصل الثالث عشر

بلاكي يُغَيِّرُ رَأْيَهُ

لَمْ يَكُنْ قَلْبُ الْغُرَابِ بلاكي أَسْوَدَ بِالْكَامِلِ. نَعَمْ، بِالْفِعْلِ، إِنَّ رِيشَهُ أَسْوَدُ وَأَحْيَانًا يَبْدُو كَأَنَّ قَلْبَهُ أَسْوَدُ تَمَامًا، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ. بَدَا قَلْبُهُ أَسْوَدَ تَمَامًا بِالتَّأْكِيدِ عِنْدَمَا حَاوَلَ جَاهِدًا إِيقَاعَ السَّيِّدِ هوتي فِي الْمَتَاعِبِ. رُبَّمَا يَبْدُو أَنَّ الْقَلْبَ الْأَسْوَدَ هُوَ وَحْدَهُ مَا قَدْ يَدْفَعُهُ إِلَى مُحَاوَلَةِ سَرِقَةِ بَيْضَتَي السَّيِّدِ وَالسَّيِّدَةِ هوتي جَاهِدًا، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ. إِنَّ مُحَاوَلَةَ الْحُصُولِ عَلَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ لَمْ تَبْدُ خَاطِئَةً عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ فَبلاكي كَانَ جَائِعًا، وَكَانَتْ هَاتَانِ الْبَيْضَتَانِ تُمَثِّلَانِ وَجْبَةً شَهِيَّةً لَهُ. وَهُوَ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ هوتي لَنْ يَتَرَدَّدَ فِي الْإِمْسَاكِ بِهِ وَأَكْلِهِ لَوْ أُتِيحَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ؛ وَلِذَا بَدَتْ لَهُ سَرِقَةُ الْبَيْضَتَيْنِ أَمْرًا صَائِبًا وَمُنْصِفًا تَمَامًا إِنْ كَانَ ذَكِيًّا بِمَا يَكْفِي لِفِعْلِهِ. وَكَانَ مُعْظَمُ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ الصِّغَارِ سَيُشَارِكُونَهُ الشُّعُورَ. فَأَحَدُ قَوَانِينِ الطَّبِيعَةِ الْأُمِّ الْعَجُوزِ يَتَمَثَّلُ فِي ضَرُورَةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَرْءُ أَنْ يَرْعَى مَصَالِحَهُ.

وَلَكِنْ عِنْدَمَا دَلَّ بلاكي ابْنَ الْمُزَارِعِ براون عَلَى مَكَانِ عُشِّ هوتي آمِلًا فِي أَنْ يَسْرِقَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، كَانَ قَلْبُهُ يَشُوبُهُ السَّوَادُ. حِينَهَا كَانَ تَصَرُّفُهُ دَنِيئًا بِكُلِّ مَا فِي الْكَلِمَةِ مِنْ مَعَانٍ. فَكُلُّ مَا كَانَ يُحَاوِلُهُ هُوَ أَنْ يُوقِعَ هوتي فِي الْمَتَاعِبِ لِكَيْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ؛ لِأَنَّ هوتي كَانَ أَذْكَى مِنْهُ. وَقَدْ جَلَسَ أَعْلَى شَجَرَةِ صَنَوْبَرٍ يُشَاهِدُ كُلَّ مَا يَدُورُ، وَرَاحَ يَضْحَكُ بِمَكْرٍ عِنْدَمَا تَسَلَّقَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون الشَّجَرَةَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى عُشِّ هوتي وَأَخَذَ مِنْهُ الْبَيْضَةَ. كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُ سَيَأْخُذُ الْبَيْضَتَيْنِ. أَوْ أَنَّهُ كَانَ يَتَمَنَّى ذَلِكَ عَلَى أَيِّ حَالٍ.

وَعِنْدَمَا رَأَى ابْنَ الْمُزَارِعِ براون يُعِيدُ الْبَيْضَتَيْنِ وَيَنْزِلُ عَنِ الشَّجَرَةِ دُونَ أَنْ يَأْخُذَ أَيًّا مِنْهُمَا، كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْرِفَ بِعَيْنَيْهِ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ صِحَّةِ مَا يَرَاهُ. فَهُوَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَدِّقَ مَا رَآهُ. فِي الْبِدَايَةِ شَعَرَ بِإِحْبَاطٍ وَغَضَبٍ شَدِيدَيْنِ؛ فَقَدْ بَدَا وَاضِحًا لِلْغَايَةِ أَنَّهُ لَنْ يَنْتَقِمَ مِنْ هوتي فِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ. طَارَ بلاكي إِلَى شَجَرَتِهِ الْمُفَضَّلَةِ لِيُفَكِّرَ فِي الْأَمْرِ. وَأَحْيَانًا يَكُونُ مِنَ الْمُفِيدِ أَنْ يَجْلِسَ الْمَرْءُ بِمُفْرَدِهِ لِيَتَفَكَّرَ فِي أُمُورِهِ؛ فَذَلِكَ يَمْنَحُهُ فُرْصَةً لِسَمَاعِ الصَّوْتِ الْخَافِتِ بِدَاخِلِهِ. وَهَذَا هُوَ مَا حَدَثَ مَعَ بلاكي آنَذَاكَ.

وَكُلَّمَا طَالَ تَفْكِيرُهُ فِي الْأَمْرِ، بَدَا لَهُ اسْتِدْعَاؤُهُ لِابْنِ الْمُزَارِعِ براون أَكْثَرَ دَنَاءَةً؛ فَإِنَّ مُحَاوَلَةَ سَرِقَةِ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ لِنَفْسِهِ أَمْرٌ، وَمُحَاوَلَةَ جَعْلِ شَخْصٍ آخَرَ — لَا يَمْلِكُ هوتي دِفَاعًا أَمَامَهُ — يَسْرِقُهُمَا أَمْرٌ آخَرُ.

قَالَ الصَّوْتُ الْخَافِتُ فِي دَاخِلِهِ: «لَوْ كَانَ أَيُّ طَائِرٍ آخَرَ غَيْرِ هوتي، لَكُنْتَ بَذَلْتَ قُصَارَى جُهْدِكَ مِنْ أَجْلِ إِبْقَاءِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون بَعِيدًا عَنْهُ.» نَكَّسَ بلاكي رَأْسَهُ؛ إِذْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ صَحِيحٌ. فَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَرَّاتِ حَذَّرَ بلاكي الطُّيُورَ الْأُخْرَى عِنْدَمَا كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَبْحَثُ عَنْ أَعْشَاشِهَا، وَسَاعَدَ فِي إِبْعَادِهِ.

فِي النِّهَايَةِ، رَفَعَ بلاكي رَأْسَهُ وَضَحِكَ، وَهَذِهِ الْمَرَّةَ كَانَ لِضِحْكَتِهِ وَقْعٌ حَسَنٌ، وَقَالَ بِصَوْتٍ عَالٍ: «أَنَا سَعِيدٌ لِأَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون لَمْ يَأْخُذْ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ. أَجَلْ، أَنَا سَعِيدٌ. لَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ مَرَّةً أُخْرَى. إِنَّنِي خَجِلٌ مِمَّا فَعَلْتُ، وَلَكِنَّنِي سَعِيدٌ بِفِعْلِهِ؛ سَعِيدٌ لِأَنِّي تَعَلَّمْتُ بَعْضَ الْأُمُورِ. تَعَلَّمْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون لَمْ يَعُدْ مُخِيفًا كَمَا كَانَ. وَتَعَلَّمْتُ أَنَّ هوتي لَيْسَ غَبِيًّا كَمَا اعْتَقَدْتُ. وَتَعَلَّمْتُ أَنَّهُ فِي حِينِ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِالنِّسْبَةِ لَنَا — نَحْنُ سُكَّانَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ — أَنْ يُحَاوِلَ كُلٌّ مِنَّا خِدَاعَ الْآخَرِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَحْمِيَ بَعْضُنَا بَعْضًا مِنَ الْأَخْطَارِ الْمُشْتَرَكَةِ. كَمَا أَنَّنِي تَعَلَّمْتُ شَيْئًا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ مِنْ قَبْلُ؛ وَهُوَ أَنَّ هوتي هُوَ أَوَّلُ مَنْ يَبْدَأُ فِي بِنَاءِ عُشِّهِ بَيْنَنَا. أَعْتَقِدُ أَنَّنِي سَأَذْهَبُ الْآنَ لِلْبَحْثِ عَنْ طَعَامِي بِشَرَفٍ.» وَقَدْ فَعَلَ.

الفصل الرابع عشر

بلاكي يَقُومُ بِزِيَارَةٍ

لَا تَحْكُمْ عَلَى أَحَدٍ مِنْ مَظْهَرِهِ؛
فَفِي ذَلِكَ إِقْرَارٌ بِجَهْلِكَ.

الْغُرَابُ بلاكي

«كَاوْ كَاوْ كَاوْ كَاوْ.» لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ حَاجَةٌ لِلنَّظَرِ لِرُؤْيَةِ مَصْدَرِ الصَّوْتِ. عَلِمَ الْأَرْنَبُ بيتر دُونَ أَنْ يَنْظُرَ، وَكَذَلِكَ عَلِمَتِ السَّيِّدَةُ كواك دُونَ أَنْ تَنْظُرَ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ نَظَرَ كِلَاهُمَا إِلَى أَعْلَى. كَانَ الْغُرَابُ بلاكي يَنْزِلُ لِتَوِّهِ مِنْ عَلَى قِمَّةِ شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ. وَصَاحَ مُجَدَّدًا: «كَاوْ كَاوْ كَاوْ»، نَاظِرًا إِلَى الْأَرْنَبِ بيتر وَالسَّيِّدَةِ كواك وَالسَّيِّدِ كواك وَالْبَطَّاتِ السِّتِّ الصَّغِيرَةِ بِالْأَسْفَلِ. وَقَالَ: «أَتَمَنَّى أَلَّا أَكُونَ قَدْ قَاطَعْتُ حَدِيثًا خَاصًّا.»

أَسْرَعَ بيتر بِالرَّدِّ قَائِلًا: «مُطْلَقًا. كَانَتِ السَّيِّدَةُ كواك تُخْبِرُنِي عَنِ الْمَتَاعِبِ وَالْأَخْطَارِ النَّاجِمَةِ عَنْ تَنْشِئَةِ الصِّغَارِ فِي الشَّمَالِ الْبَعِيدِ. كَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّ عَائِلَةَ كواك قَدْ وَصَلَتْ؟»

ضَحِكَ بلاكي بِصَوْتٍ أَجَشَّ، وَقَالَ: «لَمْ أَعْلَمْ. ظَنَنْتُ بِبَسَاطَةٍ أَنَّ شَيْئًا مَا رُبَّمَا يَحْدُثُ هُنَا فِي بِرْكَةِ الْقُنْدُسِ بادي؛ لِذَا أَتَيْتُ لِأَتَبَيَّنَ الْأَمْرَ. أَنْتَ وَالسَّيِّدَةُ كواك تَبْدُوَانِ فِي أَفْضَلِ حَالٍ هَذَا الْخَرِيفَ يَا سَيِّدُ كواك. وَهَذِهِ الْبَطَّاتُ الصَّغِيرَةُ الْجَمِيلَةُ، لَا تُخْبِرْنِي أَنَّهُمْ أَطْفَالُكَ!»

أَوْمَأَتِ السَّيِّدَةُ كواك بِفَخْرٍ قَائِلَةً: «نَعَمْ، إِنَّهُمْ أَطْفَالِي.»

فَقَالَ بلاكي مُتَعَجِّبًا، كَمَا لَوْ كَانَ مُتَفَاجِئًا، بَيْنَمَا لَمْ يَكُنْ مُتَفَاجِئًا عَلَى الْإِطْلَاقِ: «غَيْرُ مَعْقُولٍ! إِنَّهُمْ مَفْخَرَةٌ لِأَبَوَيْهِمْ. بِالْفِعْلِ، إِنَّهُمْ مَفْخَرَةٌ لِأَبَوَيْهِمْ. إِنَّنِي لَمْ أَرَ فِي حَيَاتِي أَجْمَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَطَّاتِ الصَّغِيرَةِ. كَمْ سَيَسْعَدُ الصَّيَّادُونَ ذَوُو الْبَنَادِقِ الرَّهِيبَةِ بِرُؤْيَتِهِمْ!»

انْتَفَضَتِ السَّيِّدَةُ كواك لِقَوْلِهِ وَرَأَى بلاكي ذَلِكَ، فَأَطْلَقَ ضِحْكَةً خَافِتَةً. وَكَمَا تَعْلَمُونَ فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُشْعِرَ الْآخَرِينَ بِالِاضْطِرَابِ. وَأَرْدَفَ قَائِلًا: «رَأَيْتُ ثَلَاثَةَ صَيَّادِينَ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ بَاكِرًا هَذَا الصَّبَاحَ.»

بَدَتِ السَّيِّدَةُ كواك شَدِيدَةَ الْقَلَقِ. وَلَاحَظَتْ عَيْنَا بلاكي الثَّاقِبَتَانِ ذَلِكَ.

فَأَضَافَ بِلُطْفٍ: «هَذَا هُوَ سَبَبُ مَجِيئِي إِلَى هُنَا. أَرَدْتُ أَنْ أُحَذِّرَكُمَا.»

فَقَالَ بيتر بِصَوْتٍ عَالٍ: «لَكِنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ أَنَّ عَائِلَةَ كواك هُنَا!»

رَدَّ بلاكي وَقَدْ لَاحَ بَرِيقٌ فِي عَيْنَيْهِ: «هَذَا صَحِيحٌ يَا بيتر، هَذَا صَحِيحٌ. لَكِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّهُ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونُوا قَدْ جَاءُوا. لَقَدْ وَرَدَ إِلَى مَسَامِعِي أَنَّ الْأَشْخَاصَ الَّذِينَ يَذْهَبُونَ إِلَى الْجَنُوبِ يُسَافِرُونَ مُبَكِّرًا عَنِ الْمُعْتَادِ هَذَا الْخَرِيفَ؛ لِذَا عَلِمْتُ أَنِّي رُبَّمَا أَجِدُ السَّيِّدَ كواك وَالسَّيِّدَةَ كواك هُنَا فِي أَيِّ لَحْظَةٍ. هَلْ صَحِيحٌ أَيَّتُهَا السَّيِّدَةُ كواك أَنَّ هَذَا الشِّتَاءَ سَيَكُونُ شِتَاءً طَوِيلًا قَاسِيًا قَارِسَ الْبُرُودَةِ؟»

رَدَّتِ السَّيِّدَةُ كواك: «هَذَا هُوَ مَا يَقُولُهُ سُكَّانُ الشَّمَالِ الْبَعِيدِ. وَصَحِيحٌ أَنَّ صَقِيعًا بَدَأَ مُبَكِّرًا عَنِ الْمُعْتَادِ؛ وَلِهَذَا جِئْنَا هُنَا فِي هَذَا الْوَقْتِ. وَلَكِنْ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهَؤُلَاءِ الصَّيَّادِينَ عِنْدَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، هَلْ تَظُنُّ أَنَّهُمْ سَيَأْتُونَ إِلَى هُنَا؟» كَانَ صَوْتُ السَّيِّدَةِ كواك مَشُوبًا بِنَبْرَةِ قَلَقٍ.

أَجَابَ بلاكي بِسُرْعَةٍ: «لَا، لَنْ يَسْمَحَ لَهُمُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون بِذَلِكَ. أَنَا أَعْلَمُ ذَلِكَ، فَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يُرَاقِبُ هَؤُلَاءِ الصَّيَّادِينَ. سَتَكُونِينَ فِي أَمَانٍ مَا دُمْتِ هُنَا. كَمْ كَانَ الْعَالَمُ سَيُصْبِحُ رَائِعًا لَوْ كَانَتْ كُلُّ الْمَخْلُوقَاتِ ذَاتِ السَّاقَيْنِ مِثْلَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون.»

صَاحَ بيتر: «أَجَلْ!» وَأَضَافَ: «أَتَمَنَّى لَوْ كَانُوا كَذَلِكَ.»

وَأَكَّدَتِ السَّيِّدَةُ كواك ذَلِكَ بِقَوْلِهَا: «لَيْسَ بِقَدْرِ مَا أَتَمَنَّاهُ أَنَا.»

قَالَ بلاكي: «إِلَّا أَنَّنِي أَذْكُرُهُ عِنْدَمَا كَانَ يَصْطَادُ بِبُنْدُقِيَّتِهِ الرَّهِيبَةِ وَكَانَ مِنْ أَسْوَأِ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ ذَاتِ السَّاقَيْنِ.»

سَأَلَتِ السَّيِّدَةُ كواك وَقَدْ بَدَا عَلَيْهَا الِاهْتِمَامُ: «وَمَا الَّذِي غَيَّرَهُ؟»

أَجَابَ بلاكي: «لَا شَيْءَ سِوَى أَنَّهُ وَطَّدَ مَعْرِفَتَهُ بِبَعْضِ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ الصِّغَارِ، وَوَجَدَ أَنَّهُمْ مُسْتَعِدُّونَ تَمَامَ الِاسْتِعْدَادِ لِمُصَادَقَتِهِ، وَأَصْبَحَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَصْدِقَائِهِ الْمُقَرَّبِينَ فِعْلًا.»

هَتَفَ بيتر: «وَهُوَ الْآنَ صَدِيقُهُمُ الْأَثِيرُ.»

أَوْمَأَ بلاكي مُوَافِقًا وَقَالَ: «هَذَا صَحِيحٌ يَا بيتر. وَلِهَذَا فَإِنَّ عَائِلَةَ كواك فِي أَمَانٍ هُنَا وَسَوْفَ تَظَلُّ بِأَمَانٍ مَا بَقِيَتْ هُنَا.»

الفصل الخامس عشر

بلاكي يَتَفَقَّدُ الْأَوْضَاعَ

لَا تُصَدِّقْ قَوْلَ الْغَيْرِ
إِنْ أَمْكَنَ أَنْ تَرَى رَأْيَ الْعَيْنِ.

الْغُرَابُ بلاكي

بلاكي غُرَابٌ ذَكِيٌّ. فَهُوَ أَحَدُ أَذْكَى سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ الصِّغَارِ وَأَكْثَرُهُمْ فِطْنَةً، وَالْجَمِيعُ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ. وَلِهَذَا يُكِنُّ لَهُ جِيرَانُهُ جَمِيعًا وَافِرَ الِاحْتِرَامِ، رَغْمَ طَبْعِهِ الْمُؤْذِي.

بِالطَّبْعِ لَاحَظَ بلاكي أَنَّ الْخُلْدَ جوني حَفَرَ مَنْزِلَهُ بِعُمْقٍ أَكْبَرَ مِنَ الْمُعْتَادِ، وَأَتْخَمَ نَفْسَهُ بِالطَّعَامِ حَتَّى صَارَ أَسْمَنَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى. وَلَاحَظَ أَنَّ فَأْرَ الْمِسْكِ جيري كَانَ آخِذًا فِي جَعْلِ جُدْرَانِ مَنْزِلِهِ أَكْثَرَ سُمْكًا مِنَ الْأَعْوَامِ الْمَاضِيَةِ، وَأَنَّ الْقُنْدُسَ بادي كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ نَفْسَهُ بِمَنْزِلِهِ. فَكَمَا تَعْلَمُ، عَيْنَا بلاكي الثَّاقِبَتَانِ لَا يَفُوتُهُمَا الْكَثِيرُ.

خَمَّنَ بلاكي مَا يَعْنِيهِ كُلُّ ذَلِكَ، فَتَمْتَمَ مُحَدِّثًا نَفْسَهُ: «إِنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الشِّتَاءَ سَيَكُونُ طَوِيلًا قَاسِيًا قَارِسَ الْبُرُودَةِ. رُبَّمَا كَانُوا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، وَلَكِنِّي أَرْغَبُ فِي أَنْ أَرَى بَعْضَ الْأَدِلَّةِ عَلَى ذَلِكَ بِنَفْسِي. رُبَّمَا كَانَ ظَنُّهُمْ مُجَرَّدَ تَخْمِينٍ. يُمْكِنُ لِأَيِّ شَخْصٍ أَنْ يُخَمِّنَ، وَالتَّخْمِينَاتُ جَمِيعًا مُتَسَاوِيَةٌ.»

ثُمَّ وَجَدَ عَائِلَةَ الْبَطِّ الْبَرِّيِّ — السَّيِّدَ وَالسَّيِّدَةَ كواك وَأَطْفَالَهُمَا — فِي بِرْكَةِ الْقُنْدُسِ بادي، وَتَذَكَّرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَأْتُوا إِلَى الْغَابَةِ مِنْ مَنْزِلِهِمْ فِي الشَّمَالِ الْبَعِيدِ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ الْمُبَكِّرِ مِنَ الْخَرِيفِ مِنْ قَبْلُ. وَأَوْضَحَتِ السَّيِّدَةُ كواك أَنَّ صَقِيعًا قَدْ بَدَأَ بِالْفِعْلِ فِي الْجَنُوبِ؛ وَلِذَلِكَ بَدَءُوا رِحْلَتَهُمْ أَبْكَرَ مِنَ الْمُعْتَادِ حَتَّى يَسْبِقُوهُ.

فَكَّرَ بلاكي قَائِلًا: «يَبْدُو أَنَّهُ رُبَّمَا يُوجَدُ شَيْءٌ مِنَ الصِّدْقِ فِي فِكْرَةِ الشِّتَاءِ الطَّوِيلِ الْقَاسِي قَارِسِ الْبُرُودَةِ، لَكِنْ رُبَّمَا كَانَتْ عَائِلَةُ كواك تُخَمِّنُ أَيْضًا. لَنْ أُصَدِّقَ كَلَامَهُمْ مِثْلَمَا لَمْ أُصَدِّقْ كَلَامَ الْخُلْدِ جوني أَوْ فَأْرِ الْمِسْكِ جيري أَوِ الْقُنْدُسِ بادي. سَوْفَ أَتَفَقَّدُ الْأَوْضَاعَ.»

بَعْدَ أَنْ نَبَّهَ بلاكي عَائِلَةَ كواك إِلَى أَنْ تَبْقَى فِي بِرْكَةِ الْقُنْدُسِ بادي إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَكُونُوا فِي مَأْمَنٍ، وَدَّعَهُمْ وَحَلَّقَ بَعِيدًا، وَتَوَجَّهَ مُبَاشَرَةً إِلَى الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَحَقْلِ الذُّرَةِ لَدَى الْمُزَارِعِ براون؛ فَقَلِيلٌ مِنْ تِلْكَ الذُّرَةِ الصَّفْرَاءِ كَانَ يُمَثِّلُ وَجْبَةَ إِفْطَارٍ لَا بَأْسَ بِهَا.

عِنْدَمَا وَصَلَ بلاكي إِلَى حَقْلِ الذُّرَةِ، اسْتَقَرَّ فَوْقَ كَوْمَةٍ مِنَ الذُّرَةِ، كَانَتْ قَدْ قُطِعَتْ بِالْفِعْلِ وَوُضِعَتْ فِي أَكْوَامٍ؛ اسْتِعْدَادًا لِنَقْلِهَا بِالْعَرَبَةِ إِلَى مَخْزَنِ الْمُزَارِعِ براون. قَبَعَ فِي مَكَانِهِ سَاكِنًا دُونَ حَرَاكٍ لِلَحَظَاتٍ، وَلَكِنْ طِيلَةَ الْوَقْتِ كَانَتْ عَيْنَاهُ الثَّاقِبَتَانِ تَتَأَكَّدَانِ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ عَدُوٍّ مُخْتَبِئٍ خَلْفَ إِحْدَى تِلْكَ الْأَكْوَامِ الْبُنِّيَّةِ. وَعِنْدَمَا تَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ الْوَضْعَ آمِنٌ فِعْلًا كَمَا يَبْدُو ظَاهِرًا، انْتَقَى كُوزَ ذُرَةٍ ضَخْمًا وَبَدَأَ يُزِيلُ الْقِشْرَ عَنْهُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْحُبُوبِ الصَّفْرَاءِ.

قَالَ بلاكي بَيْنَمَا كَانَ يُقَطِّعُ الْقِشْرَ بِمِنْقَارِهِ الْحَادِّ: «يَبْدُو لِي أَنَّ هَذِهِ الْقِشْرَةَ أَكْثَرُ سُمْكًا مِنَ الْمُعْتَادِ. لَا أَتَذَكَّرُ قَطُّ أَنَّنِي رَأَيْتُ قِشْرًا بِمِثْلِ هَذَا السُّمْكِ مِنْ قَبْلُ. تُرَى أَيَقْتَصِرُ هَذَا الْأَمْرُ عَلَى كُوزِ الذُّرَةِ هَذَا فَحَسْبُ؟»

حِينَهَا طَرَأَتْ عَلَى رَأْسِهِ الْأَسْوَدِ فِكْرَةٌ، فَتَرَكَ هَذَا الْكُوزَ وَأَخَذَ غَيْرَهُ. كَانَتْ قِشْرَةُ هَذَا الْكُوزِ بِنَفْسِ سُمْكِ قِشْرَةِ الْكُوزِ السَّابِقِ. فَطَارَ إِلَى كَوْمَةٍ أُخْرَى وَوَجَدَ الْقِشْرَ بِنَفْسِ السُّمْكِ. وَانْتَقَلَ إِلَى كَوْمَةٍ ثَالِثَةٍ وَوَجَدَ الْأَمْرَ نَفْسَهُ.

فَقَالَ: «آهْ! إِنَّهُمْ جَمِيعًا سَوَاءٌ.» ثُمَّ بَدَا أَنَّهُ غَرِقَ فِي التَّفْكِيرِ وَظَلَّ ثَابِتًا كَالتِّمْثَالِ بِضْعَ لَحَظَاتٍ، وَقَالَ فِي النِّهَايَةِ: «إِنَّهُمْ مُحِقُّونَ. أَجَلْ، إِنَّهُمْ مُحِقُّونَ.» كَانَ يَعْنِي بِالطَّبْعِ

الْخُلْدَ جوني وَفَأْرَ الْمِسْكِ جيري وَالْقُنْدُسَ بادي وَعَائِلَةَ كواك. «لَا أَعْلَمُ كَيْفَ عَلِمُوا بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ مُحِقُّونَ. سَيَكُونُ هَذَا الشِّتَاءُ طَوِيلًا قَاسِيًا قَارِسَ الْبُرُودَةِ. عَرَفْتُ ذَلِكَ بِنَفْسِي الْآنَ، فَقَدْ وَجَدْتُ دَلِيلًا عَلَيْهِ. إِنَّ الطَّبِيعَةَ الْأُمَّ الْعَجُوزَ قَدْ غَلَّفَتْ هَذِهِ الذُّرَةَ بِقِشْرَةٍ أَكْثَرَ سُمْكًا مِنَ الْمُعْتَادِ، وَبِالطَّبْعِ فَعَلَتْ ذَلِكَ لِتَحْمِيَهَا. إِنَّهَا لَا تَفْعَلُ شَيْئًا بِلَا سَبَبٍ. صِرْتُ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُ سَيَكُونُ شِتَاءً قَارِسَ الْبُرُودَةِ مِثْلَمَا أَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنَ اسْمِي.»

الفصل السادس عشر

بلاكي يَجِدُ أَدِلَّةً أُخْرَى

حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ قَدْ لَا تَكْفِي لِإِثْبَاتِ رَأْيِكَ؛
عَضِّدْهَا بِأُخْرَى فَيَقْوَى بُرْهَانُكَ.

الْغُرَابُ بلاكي

بَعْدَمَا اكْتَشَفَ بلاكي أَنَّ الطَّبِيعَةَ الْأُمَّ الْعَجُوزَ غَلَّفَتْ كُلَّ أَكْوَازِ الذُّرَةِ بِقِشْرٍ زَائِدِ السُّمْكِ، لَمْ يَعُدْ لَدَيْهِ أَيُّ شَكٍّ فِي أَنَّ الْخُلْدَ جوني وَفَأْرَ الْمِسْكِ جيري وَالْقُنْدُسَ بادي وَعَائِلَةَ كواك كَانُوا مُحِقِّينَ تَمَامًا فِي شُعُورِهِمْ بِأَنَّ الشِّتَاءَ الْقَادِمَ سَيَكُونُ طَوِيلًا وَقَاسِيًا وَقَارِسَ الْبُرُودَةِ. وَلَكِنَّ بلاكي تَعَلَّمَ مُنْذُ زَمَنٍ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَوِ الْأَمَانِ الْكَامِلِ أَنْ تَعْتَمِدَ كُلِّيًّا عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ.

بَيْنَمَا وَقَفَ بلاكي عَلَى عَمُودِ سِيَاجٍ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ مُفَكِّرًا فِي اكْتِشَافِ قِشْرَةِ الذُّرَةِ السَّمِيكَةِ، قَالَ فِي نَفْسِهِ: «إِنَّ الطَّبِيعَةَ الْأُمَّ الْعَجُوزَ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا غَيْرَ كَامِلٍ؛ لِذَا لَنْ تَهْتَمَّ بِحِمَايَةِ الذُّرَةِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ دُونَ أَنْ تَحْمِيَ الْأَشْيَاءَ الْأُخْرَى. لَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ أَدِلَّةٍ أُخْرَى، إِذَا كُنْتُ ذَكِيًّا بِمَا يَكْفِي لِاكْتِشَافِهَا.»

رَفَعَ بلاكي أَحَدَ جَنَاحَيْهِ الْأَسْوَدَيْنِ وَبَدَأَ بِتَرْتِيبِ الرِّيشِ فِيهِ. وَفَجْأَةً قَفَزَ قَفْزَةً صَغِيرَةً مُضْحِكَةً.

وَإِذْ بَسَطَ جَنَاحَيْهِ لِيَسْتَعِيدَ تَوَازُنَهُ، صَاحَ قَائِلًا: «هَذَا أَمْرٌ غَيْرُ مَسْبُوقٍ! أَجَلْ، غَيْرُ مَسْبُوقٍ!»

سَمِعَ صَوْتًا حَادًّا رَفِيعًا يَقُولُ: «أَحَقًّا؟ إِذَا قُلْتَ إِنَّهُ أَمْرٌ غَيْرُ مَسْبُوقٍ، فَهَذَا صَحِيحٌ عَلَى الْأَرْجَحِ، وَإِنْ كُنْتُ سَآخُذُ رَأْيَ شَخْصٍ آخَرَ قَبْلَ أَنْ أُصَدِّقَ مَا تَقُولُ. مَا هُوَ الْأَمْرُ غَيْرُ الْمَسْبُوقِ؟»

نَظَرَ بلاكي إِلَى أَسْفَلَ، فَوَجَدَ عَيْنَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ لَامِعَتَيْنِ تَتَطَلَّعَانِ إِلَيْهِ مِنْ بَيْنِ الْعُشْبِ الْبُنِّيِّ.

صَاحَ بلاكي: «مَرْحَبًا يَا فَأْرَ الْمُرُوجِ داني! لَمْ أَرَكَ مُنْذُ زَمَنٍ. بَحَثْتُ عَنْكَ مَرَّاتٍ عِدَّةً فِي الْآوِنَةِ الْأَخِيرَةِ.»

صَاحَ داني: «لَا أَشُكُّ فِي ذَلِكَ. لَا أَشُكُّ فِي ذَلِكَ مُطْلَقًا. لَنْ تَرَانِي أَبَدًا عِنْدَمَا تَبْحَثُ عَنِّي. أَوْ إِنَّكَ لَنْ تَرَانِي لَوْ كَانَ الْأَمْرُ بِيَدِي، وَلَنْ تَرَانِي إِذَا رَأَيْتُكَ أَنَا أَوَّلًا.»

ضَحِكَ بلاكي؛ فَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ مَا يَقْصِدُهُ داني. فَعِنْدَمَا يَذْهَبُ بلاكي لِلْبَحْثِ عَنْ فَأْرِ الْمُرُوجِ داني، عَادَةً مَا يَكُونُ آمِلًا فِي تَنَاوُلِهِ عَلَى الْعَشَاءِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ داني يَعْلَمُ ذَلِكَ. فَقَالَ بلاكي: «لَقَدْ تَنَاوَلْتُ إِفْطَارِي، وَلَمْ يَحِنْ مَوْعِدُ الْعَشَاءِ بَعْدُ.»

سَأَلَ داني فِي إِصْرَارٍ بِصَوْتِهِ الرَّفِيعِ: «مَا هُوَ الْأَمْرُ غَيْرُ الْمَسْبُوقِ؟»

أَجَابَهُ بلاكي مُفَسِّرًا: «كَانَ هَذَا تَعَجُّبًا؛ فَقَدِ اكْتَشَفْتُ اكْتِشَافًا أَدْهَشَنِي لِذَا صَدَرَتْ عَنِّي تِلْكَ الْعِبَارَةُ عَلَى الْفَوْرِ.»

فَسَأَلَ داني: «مَاذَا كَانَ هَذَا الِاكْتِشَافُ؟»

رَدَّ بلاكي قَائِلًا: «كَانَ الِاكْتِشَافُ هُوَ أَنَّ رِيشِي يَنْمُو بِكَثَافَةٍ أَكْبَرَ بِخِلَافِ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى. وَلَمْ أُلَاحِظْ ذَلِكَ حَتَّى بَدَأْتُ أُرَتِّبُهُ مُنْذُ بِضْعِ لَحَظَاتٍ.» وَدَفَنَ مِنْقَارَهُ فِي رِيشِ صَدْرِهِ، ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ مَكْتُومٍ: «أَجَلْ، إِنَّهُ يَنْبُتُ بِكَثَافَةٍ أَكْبَرَ بِخِلَافِ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى. إِنَّهُ يَنْبُتُ بِكَثْرَةٍ عِنْدَ الْجُذُورِ. سَوْفَ يَكُونُ ذَلِكَ أَدْفَأَ مِعْطَفٍ رِيشِيٍّ حَصَلْتُ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِي.»

رَدَّ داني قَائِلًا: «لَا تَحْسَبْ أَنَّكَ وَحْدَكَ فِي ذَلِكَ. لَمْ يَسْبِقْ أَنْ كَانَ فِرَائِي أَكْثَرَ كَثَافَةً فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ مِمَّا هُوَ الْآنَ، وَيَسْرِي ذَلِكَ الْأَمْرُ عَلَى فَأْرَةِ الْمُرُوجِ ناني وَأَطْفَالِنَا جَمِيعًا. أَعْتَقِدُ أَنَّكَ تَعْلَمُ مَا يَعْنِيهِ ذَلِكَ.»

سَأَلَ بلاكي: «مَا الَّذِي يَعْنِيهِ ذَلِكَ؟» كَمَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ أَدْنَى فِكْرَةٍ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ قَدْ خَمَّنَ مَعْنَاهُ فِي لَحْظَةِ اكْتِشَافِهِ الرِّيشَاتِ الزَّائِدَةَ.

رَدَّ داني كَمَا لَوْ كَانَ يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الْمَوْضُوعِ: «هَذَا يَعْنِي أَنَّهُ سَيَكُونُ شِتَاءً طَوِيلًا قَاسِيًا قَارِسَ الْبُرُودَةِ، وَأَنَّ الطَّبِيعَةَ الْأُمَّ الْعَجُوزَ تُعِدُّنَا لَهُ. سَتَجِدُ أَنَّ كُلَّ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي لَا تُهَاجِرُ إِلَى الْجَنُوبِ وَلَا تَنَامُ طَوَالَ الشِّتَاءِ قَدْ حَصَلَتْ عَلَى غِطَاءٍ أَغْلَظَ مِنَ الْمُعْتَادِ لِجَسَدِهَا. آهْ! إِنَّهُ الصَّقْرُ الْعَجُوزُ مُرَيَّشُ الرِّجْلَيْنِ! لَقَدْ جَاءَ مُبَكِّرًا لِلْغَايَةِ هَذَا الْعَامَ. أَعْتَقِدُ أَنِّي سَأَعُودُ لِأُحَذِّرَ ناني.»

وَدُونَ أَيَّةِ كَلِمَةٍ أُخْرَى اخْتَفَى داني وَسْطَ الْعُشْبِ الْبُنِّيِّ. ضَحِكَ بلاكي مَرَّةً أُخْرَى، وَقَالَ لِنَفْسِهِ: «الْمَزِيدُ مِنَ الْأَدِلَّةِ. الْمَزِيدُ مِنَ الْأَدِلَّةِ. لَيْسَ ثَمَّةَ شَكٌّ فِي أَنَّهُ سَيَكُونُ شِتَاءً عَصِيبًا. تُرَى هَلْ سَيُمْكِنُنِي تَحَمُّلُهُ؟ أَمْ أَنَّ الْأَفْضَلَ أَنْ أَنْتَقِلَ إِلَى الْجَنُوبِ قَلِيلًا، حَيْثُ سَيَكُونُ الْجَوُّ أَدْفَأَ بَعْضَ الشَّيْءِ.»

الفصل السابع عشر

أَمْرٌ عَجِيبٌ

يَبْدُو وَاضِحًا لِي أَنَّ
مَا لَا أَفْهَمُهُ أَسْتَغْرِبُهُ.

الْغُرَابُ بلاكي

قَدْ يَكُونُ بلاكي مُحِقًّا، وَقَدْ لَا يَكُونُ. فَإِذَا كَانَ مُحِقًّا، فَسَيُفَسِّرُ ذَلِكَ غَرَابَةَ كَثِيرٍ مِنَ الْأَشْخَاصِ فِي الْعَالَمِ. فَإِنَّنَا إِذْ لَا نَفْهَمُهُمْ، نَسْتَغْرِبُهُمْ. عَلَى الْأَقَلِّ، هَذَا مَا يَقُولُهُ الْآخَرُونَ، وَلَا يُفَكِّرُونَ أَبَدًا، وَلَوْ لِمَرَّةٍ، أَنَّهُمْ رُبَّمَا هُمْ مَنْ يَتَّسِمُونَ بِالْغَرَابَةِ لِأَنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ.

لَكِنَّ بلاكي لَيْسَ مِنَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَرْضَوْنَ بِعَدَمِ الْفَهْمِ وَالِاعْتِقَادِ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ دُونَهُمْ غَرِيبٌ. فَهُوَ يَبْذُلُ قُصَارَى جُهْدِهِ لِيَفْهَمَ. فَيَنْتَظِرُ وَيُرَاقِبُ وَيَسْتَخْدِمُ بَصَرَهُ الْحَادَّ وَسُرْعَةَ بَدِيهَتِهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ الْأَمْرُ عَادَةً إِلَى الْفَهْمِ.

فِي الْيَوْمِ الَّذِي اكْتَشَفَ فِيهِ عَلَامَاتِ الطَّبِيعَةِ الْأُمِّ الْعَجُوزِ عَلَى أَنَّ الشِّتَاءَ الْقَادِمَ سَيَكُونُ طَوِيلًا وَقَاسِيًا وَقَارِسَ الْبُرُودَةِ، قَامَ بلاكي بِزِيَارَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ. فَقَدْ كَانَ اكْتَشَفَ مُنْذُ زَمَنٍ أَنَّ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً تُرَى عَلَى صَفْحَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ أَوْ إِلَى جِوَارِهِ، وَلَا تُرَى فِي مَكَانٍ آخَرَ؛ لِذَا كَانَ يَذْهَبُ إِلَى النَّهْرِ فِي أَغْلَبِ الْأَيَّامِ.

إِذْ أَخَذَ بلاكي يَقْتَرِبُ مِنَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، كَانَ شَدِيدَ الْيَقَظَةِ وَالْحَذَرِ؛ حَيْثُ إِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مَوْسِمُ تَوَاجُدِ الصَّيَّادِينَ ذَوِي الْبَنَادِقِ الرَّهِيبَةِ، وَكَانَ قَدْ عَرَفَ أَنَّهُمْ يَخْتَبِئُونَ عَلَى الْأَرْجَحِ فِي مَكَانٍ مَا عَلَى ضِفَافِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ؛ أَمَلًا فِي اصْطِيَادِ السَّيِّدِ كواك أَوِ السَّيِّدَةِ كواك أَوْ بَعْضِ أَقَارِبِهِمَا. لِذَا كَانَ شَدِيدَ الْحَذَرِ فِي اقْتِرَابِهِ مِنَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ

بِمَخَاطِرِ الْمُرُورِ بِالْقُرْبِ مِنْ صَيَّادٍ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةً رَهِيبَةً. فَقَدْ أُطْلِقَ عَلَيْهِ النَّارُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فِيمَا مَضَى. وَلَكِنَّهُ تَعَلَّمَ مِنْ هَذِهِ التَّجَارِبِ. أَجَلْ، تَعَلَّمَ بلاكي مِنْهَا. أَوَّلًا: تَعَلَّمَ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى الْبُنْدُقِيَّةِ عِنْدَمَا يَرَاهَا، وَثَانِيًا: تَعَلَّمَ الْبُعْدَ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْبَنَادِقُ عَلَيْهِ وَمَعَ ذَلِكَ تُؤْذِي الْهَدَفَ الَّذِي تُوَجَّهُ إِلَيْهِ، وَتَعَلَّمَ أَنْ يَبْقَى دَوْمًا عَلَى بُعْدٍ أَكْبَرَ قَلِيلًا. وَكَذَلِكَ تَعَلَّمَ أَنَّ الرَّجُلَ أَوِ الطِّفْلَ بِدُونِ الْبُنْدُقِيَّةِ الرَّهِيبَةِ غَيْرُ مُؤْذٍ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ، وَأَنَّ الصَّيَّادِينَ مُخَادِعُونَ وَأَحْيَانًا يَخْتَبِئُونَ مِمَّنْ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ. لِذَلِكَ مِنَ الْأَفْضَلِ فِي مَوْسِمِ الصَّيْدِ الْبَغِيضِ أَنْ يُمْعِنَ الطَّائِرُ النَّظَرَ قَبْلَ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْ أَيِّ مَكَانٍ.

عَصْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، عِنْدَمَا اقْتَرَبَ مِنَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، رَأَى رَجُلًا بَدَا مَشْغُولًا لِلْغَايَةِ عَلَى ضِفَافِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، فِي مَكَانٍ يَنْمُو فِيهِ الْأُرْزُ الْبَرِّيُّ وَنَبَاتُ السَّمَّارِ لِمَسَافَةٍ فِي الْمَاءِ، حَيْثُ كَانَ الْمَاءُ ضَحْلًا حَتَّى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ عَنِ الْيَابِسَةِ. بَحَثَ بلاكي مُدَقِّقًا عَنْ بُنْدُقِيَّةٍ رَهِيبَةٍ، وَلَكِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ بُنْدُقِيَّةٌ، وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مَا يَخْشَاهُ بلاكي. فَاقْتَرَبَ بلاكي بِجُرْأَةٍ حَتَّى صَارَ بِإِمْكَانِهِ رُؤْيَةُ مَا يَفْعَلُهُ الرَّجُلُ.

اتَّسَعَتْ عَيْنَا بلاكي عَنْ آخِرِهِمَا وَكَادَ يَنْعِقُ دَهْشَةً. فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُخْرِجُ حُبُوبَ ذُرَةٍ صَفْرَاءَ مِنْ كِيسٍ وَيُلْقِيهَا فِي الْمَاءِ، حَفْنَةً فِي كُلِّ مَرَّةٍ. أَجَلْ، كَانَ ذَلِكَ مَا يَفْعَلُهُ؛ يَنْثُرُ حُبُوبَ الذُّرَةِ الصَّفْرَاءِ اللَّذِيذَةِ بَيْنَ الْأُرْزِ الْبَرِّيِّ وَنَبَاتِ السَّمَّارِ فِي الْمَاءِ!

تَمْتَمَ بلاكي بَيْنَمَا وَقَفَ يُرَاقِبُ الْمَشْهَدَ: «هَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ!» «لِمَ يَنْثُرُ ذُرَةً سَلِيمَةً لَا عَيْبَ فِيهَا فِي الْمَاءِ؟ إِنَّهُ لَا يَزْرَعُهَا، فَهَذَا لَيْسَ مَوْسِمَ الزِّرَاعَةِ. كَمَا أَنَّهَا لَنْ تَنْمُوَ فِي الْمَاءِ عَلَى أَيِّ حَالٍ. وَمِنَ الْمُؤْسِفِ أَنْ تُهْدَرَ مِثْلُ هَذِهِ الذُّرَةِ اللَّذِيذَةِ. لِمَ يَفْعَلُ هَذَا؟»

طَارَ بلاكي إِلَى شَجَرَةٍ أَبْعَدَ قَلِيلًا وَوَقَفَ عَلَى قِمَّتِهَا يُرَاقِبُ هَذَا الْأَمْرَ الْعَجِيبَ. فَبلاكي عَيْنَاهُ ثَاقِبَتَانِ وَيُمْكِنُهُ أَنْ يَرَى مِنْ مَسَافَاتٍ بَعِيدَةٍ. اسْتَمَرَّ الرَّجُلُ لِفَتْرَةٍ فِي نَثْرِ الذُّرَةِ وَوَاصَلَ بلاكي التَّسَاؤُلَ عَنْ سَبَبِ فِعْلِهِ ذَلِكَ. فِي النِّهَايَةِ مَضَى الرَّجُلُ عَلَى مَتْنِ قَارِبٍ، وَرَاقَبَهُ بلاكي حَتَّى تَوَارَى عَنِ الْأَنْظَارِ. حِينَهَا بَسَطَ جَنَاحَيْهِ وَرَاحَ يَحُومُ حَوْلَ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ وَالْأُرْزِ الْبَرِّيِّ بِبُطْءٍ، فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ الرَّجُلُ يَنْثُرُ فِيهِ الذُّرَةَ. وَكَانَ بِإِمْكَانِهِ رُؤْيَةُ بَعْضِ الْحُبُوبِ الصَّفْرَاءِ فِي الْقَاعِ. وَسُرْعَانَ مَا رَأَى شَيْئًا آخَرَ. فَهَتَفَ بلاكي: «آهْ!»

الفصل الثامن عشر

ظُنُونُ بلاكي

احْذَرْ مَا لَا تَفْهَمُ!
قَدْ لَا يَكُونُ مُؤْذِيًا، وَلَكِنِ احْذَرْ!
فَكُلَّمَا تَقَدَّمَ بِكَ الْعُمْرُ، وَجَدْتَ أَنَّ مَا تَعْرِفُهُ
هُوَ وَحْدَهُ الْجَدِيرُ بِثِقَتِكَ، فَاحْذَرْ!

الْغُرَابُ بلاكي

تِلْكَ إِحْدَى الْحِكَمِ الَّتِي يُرَدِّدُهَا بلاكي، وَيَعْمَلُ بِهَا. وَذَلِكَ أَحَدُ أَسْبَابِ اعْتِبَارِ كُلِّ جِيرَانِهِ لَهُ أَنَّهُ أَحَدُ أَذْكَى الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ. فَهُوَ نَادِرًا مَا يَقَعُ فِي مَتَاعِبَ حَقِيقِيَّةٍ؛ لِأَنَّهُ يَتَأَكَّدُ أَوَّلًا مِنْ عَدَمِ وُجُودِ مَتَاعِبَ يَقَعُ فِيهَا. وَعِنْدَمَا يَكْتَشِفُ شَيْئًا لَا يَفْهَمُهُ، يَشُكُّ فِيهِ عَلَى الْفَوْرِ.

وَعِنْدَمَا شَاهَدَ رَجُلًا يَنْثُرُ الذُّرَةَ الصَّفْرَاءَ فِي الْمَاءِ مِنْ عَلَى ضِفَافِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، ارْتَابَ فِي الْأَمْرِ عَلَى الْفَوْرِ. فَهُوَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْهَمَ السَّبَبَ الَّذِي قَدْ يَدْفَعُ رَجُلًا إِلَى إِلْقَاءِ ذُرَةٍ سَلِيمَةٍ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ وَالْأُرْزِ الْبَرِّيِّ فِي الْمَاءِ. وَلِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْهَمَ، شَكَّ عَلَى الْفَوْرِ فِي أَنْ يَكُونَ ثَمَّةَ غَرَضٌ شِرِّيرٌ وَرَاءَ ذَلِكَ. وَعِنْدَمَا غَادَرَ الرَّجُلُ فِي الْقَارِبِ، طَارَ بلاكي بِبُطْءٍ فَوْقَ السَّمَّارِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي أَلْقَى فِيهِ الرَّجُلُ الذُّرَةَ، وَعَلَى الْفَوْرِ اكْتَشَفَتْ عَيْنَاهُ الثَّاقِبَتَانِ شَيْئًا جَعَلَهُ يَهْتِفُ تَعَجُّبًا مِنْ فَوْرِه.

مَا الَّذِي اكْتَشَفَهُ بلاكي؟ بِضْعُ رِيشَاتٍ فَحَسْبُ. وَإِنَّ أَحَدًا لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْ بلاكي الثَّاقِبَتَيْنِ لَمْ يَكُنْ لِيَكْتَشِفَهَا. وَقَلِيلُونَ مَنْ كَانُوا سَيَسْتَوْقِفُهُمُ الْأَمْرُ إِنْ لَاحَظُوا الرِّيشَاتِ.

وَلَكِنَّ بلاكي عَلِمَ عَلَى الْفَوْرِ أَنَّهَا رِيشَاتُ بَطٍّ. عَلِمَ أَنَّ بَطَّةً — أَوْ رُبَّمَا سِرْبًا مِنَ الْبَطِّ — كَانَتْ تَسْتَرِيحُ أَوْ تَأْكُلُ طَعَامَهَا فِي هَذَا الْمَكَانِ وَسْطَ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ، وَعِنْدَمَا رَحَلَتْ، خَلَّفَتْ وَرَاءَهَا رِيشَتَيْنِ نَاعِمَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.

هَتَفَ بلاكي: «آهْ! كَانَ السَّيِّدُ وَالسَّيِّدَةُ كواك أَوْ بَعْضُ أَقَارِبِهِمَا هُنَا. هَذَا النَّوْعُ مِنَ الْأَمَاكِنِ تَحْدِيدًا يُفَضِّلُهُ الْبَطُّ. وَكَذَلِكَ فَإِنَّ بَعْضَ الْبَطِّ يُحِبُّ الذُّرَةَ. وَإِذَا عَادَ إِلَى هُنَا وَوَجَدَ حَبَّاتِ الذُّرَةِ هَذِهِ، فَسَيَجْعَلُ مِنْهَا وَلِيمَةً، وَبَعْدَهَا سَيَعُودُ مُجَدَّدًا بِالتَّأْكِيدِ. إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي نَثَرَ الذُّرَةَ هُنَا لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ بُنْدُقِيَّةً رَهِيبَةً، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ صَيَّادًا. فَرُبَّمَا يَعُودُ مَرَّةً أُخْرَى وَتَكُونُ فِي حَوْزَتِهِ حِينَهَا بُنْدُقِيَّةٌ رَهِيبَةٌ. إِنَّنِي لَأَرْتَابُ فِي ذَلِكَ الرَّجُلِ، أَجَلْ أَرْتَابُ فِيهِ. أَظُنُّ أَنَّهُ وَضَعَ الذُّرَةَ هُنَا مِنْ أَجْلِ الْبَطِّ، وَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ بِدَافِعِ طِيبَةِ قَلْبِهِ. لَوْ كَانَ هَذَا الشَّخْصُ هُوَ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون، كُنْتُ سَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمُورَ عَلَى مَا يُرَامُ، وَأَنَّهُ كَانَ يُفَكِّرُ فِي الْبَطِّ الْجَائِعِ، الَّذِي لَا يَجِدُ إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْأَمَاكِنِ حَيْثُ يُمْكِنُهُ أَنْ يَأْكُلَ فِي أَمَانٍ أَثْنَاءَ رِحْلَتِهِ الطَّوِيلَةِ مِنَ الشَّمَالِ الْبَعِيدِ إِلَى الْجَنُوبِ الْمُشْمِسِ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنِ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون. هَذَا الْأَمْرُ لَا يُرِيحُنِي. إِنَّهُ لَا يُرِيحُنِي الْبَتَّةَ. سَوْفَ أُوَاصِلُ مُرَاقَبَةَ هَذَا الْمَكَانِ وَأَرَى مَا سَيَحْدُثُ.»

وَطُولَ الطَّرِيقِ إِلَى مَكَانِهِ الْمُفَضَّلِ عَلَى شَجَرَةِ شَوْكَرَانٍ مُعَيَّنَةٍ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، ظَلَّ بلاكي يُفَكِّرُ فِي الذُّرَةِ وَالرَّجُلِ الَّذِي بَدَا كَرِيمًا، وَكُلَّمَا فَكَّرَ فِي الْأَمْرِ أَكْثَرَ، ازْدَادَتْ شُكُوكُهُ. فَهُوَ لَمْ يَرْتَحْ لِذَلِكَ الْأَمْرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

وَبَيْنَمَا كَانَ بلاكي يَسْتَعِدُّ لِلنَّوْمِ، تَمْتَمَ قَائِلًا: «سَوْفَ أَنْصَحُ عَائِلَةَ كواك بِالِابْتِعَادِ عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ. سَيَكُونُ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا أَفْعَلُهُ فِي الصَّبَاحِ. لَوْ أَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ ذَرَّةَ عَقْلٍ، فَسَوْفَ يَبْقَوْنَ عِنْدَ بِرْكَةِ الْقُنْدُسِ بادي. وَلَكِنَّهُمْ إِذَا ذَهَبُوا إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، فَسَيَجِدُونَ الذُّرَةَ بِالتَّأْكِيدِ، وَإِذَا وَجَدُوهَا مَرَّةً، فَسَوْفَ يُوَاصِلُونَ الذَّهَابَ إِلَى هُنَاكَ مِنْ أَجْلِ الْمَزِيدِ. رُبَّمَا كَانَ الْأَمْرُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَلَكِنِّي غَيْرُ مُرْتَاحٍ لِمَا يَبْدُو عَلَيْهِ.»

وَنَامَ بلاكي وَالشُّكُوكُ لَمْ تَزَلْ تَمْلَأُ قَلْبَهُ.

الفصل التاسع عشر

بلاكي يَصِلُ إِلَى مَزِيدٍ مِنْ الِاكْتِشَافَاتِ

أَشْيَاءُ صَغِيرَةٌ غَيْرُ مَرْئِيَّةٍ
رُبَّمَا كَانَ لَهَا بَالِغُ الْأَهَمِّيَّةِ.

الْغُرَابُ بلاكي

يَتَمَثَّلُ أَحَدُ أَسْرَارِ نَجَاحِ بلاكي فِي أَنَّهُ لَا تَفُوتُهُ أَبَدًا مُلَاحَظَةُ الْأَشْيَاءِ الصَّغِيرَةِ؛ فَقَدْ تَعَلَّمَ مُنْذُ زَمَنٍ أَنَّ الْأَشْيَاءَ الصَّغِيرَةَ الَّتِي تَبْدُو غَيْرَ مُؤْذِيَةٍ فِي حَدِّ ذَاتِهَا وَغَيْرَ جَدِيرَةٍ بِالْمُلَاحَظَةِ، رُبَّمَا تُثْبِتُ مُجْتَمِعَةً أَكْثَرَ الْأَشْيَاءِ أَهَمِّيَّةً فِي الْحَيَاةِ. لِذَا، فَبِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ مَدَى عَدَمِ الْأَهَمِّيَّةِ الَّتِي قَدْ يَبْدُو عَلَيْهَا الشَّيْءُ، يَتَفَقَّدُهُ بلاكي بِعِنَايَةٍ بِعَيْنَيْهِ الثَّاقِبَتَيْنِ هَاتَيْنِ وَيَتَذَكَّرُهُ.

كَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ فَعَلَهُ بلاكي — بِمُجَرَّدِ أَنِ اسْتَيْقَظَ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي لِاكْتِشَافِهِ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ يَنْثُرُ حَبَّاتِ الذُّرَةِ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ فِي مَكَانٍ مُعَيَّنٍ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ — هُوَ أَنْ طَارَ إِلَى بِرْكَةِ الْقُنْدُسِ بادي، وَحَذَّرَ السَّيِّدَ وَالسَّيِّدَةَ كواك مَرَّةً أُخْرَى مِنَ الدُّنُوِّ مِنَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ إِذَا أَرَادَا أَنْ يَظَلَّا فِي أَمَانٍ هُمَا وَأَطْفَالُهُمَا السِّتَّةُ. بَعْدَهَا تَنَاوَلَ إِفْطَارَهُ، تَنَاوَلَهُ فِي عُجَالَةٍ وَطَارَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ مُبَاشَرَةً؛ حَيْثُ شَاهَدَ الرَّجُلَ يَنْثُرُ الذُّرَةَ.

لَمْ يَتَفَاجَأْ بلاكي كَثِيرًا بِرُؤْيَةِ ذَكَرِ الْبَطِّ الْأَسْوَدِ داسكي — ابْنِ عَمِّ السَّيِّدِ وَالسَّيِّدَةِ كواك مِنْ عَائِلَةِ الْبَطِّ الْبَرِّيِّ — مَعَ عَدَدٍ مِنْ أَقَارِبِهِ وَسْطَ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ وَالْأُرْزِ الْبَرِّيِّ فِي نَفْسِ الْمَكَانِ الَّذِي نُثِرَتْ فِيهِ الذُّرَةُ. بَدَوْا جَمِيعًا مَسْرُورِينَ وَمُبْتَهِجِينَ إِلَى أَقْصَى حَدٍّ. وَقَدْ خَمَّنَ بلاكي السَّبَبَ؛ إِذْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرَى وَلَوْ حَبَّةً وَاحِدَةً مِنَ الذُّرَةِ الصَّفْرَاءِ. كَانَ

يَعْلَمُ طِبَاعَ داسكي وَأَقَارِبِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ جَاءُوا اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ وَقْتَ الْغَسَقِ وَفَوْرًا وَجَدُوا حَبَّاتِ الذُّرَةِ الْمَنْثُورَةَ. وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَيَظَلُّونَ مُخْتَبِئِينَ هُنَاكَ حَتَّى يَجِدُوا مَا يُخِيفُهُمْ، وَحِينَهَا سَيَقْضُونَ بَقِيَّةَ النَّهَارِ فِي بِرْكَةٍ صَغِيرَةٍ؛ حَيْثُ يُسْتَبْعَدُ أَنْ يُزْعِجَهُمْ أَحَدٌ أَوْ عَلَى الْأَقَلِّ لَنْ يَقْتَرِبَ مِنْهُمْ خَطَرٌ دُونَ أَنْ يَرَوْهُ قَبْلَ وُصُولِهِ بِوَقْتٍ طَوِيلٍ. وَهُنَاكَ سَوْفَ يَظَلُّونَ طَوَالَ الْيَوْمِ، وَعِنْدَمَا تَزْحَفُ الظِّلَالُ السَّوْدَاءُ مِنْ نَاحِيَةِ التِّلَالِ الْأُرْجُوَانِيَّةِ، يَعُودُونَ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ لِلْحُصُولِ عَلَى الطَّعَامِ؛ فَهَذَا هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي يُفَضِّلُونَ الْبَحْثَ عَنِ الطَّعَامِ فِيهِ.

نَظَرَ داسكي لِأَعْلَى عِنْدَمَا حَلَّقَ بلاكي مِنْ فَوْقِهِ، وَلَكِنَّ بلاكي لَمْ يَقُلْ شَيْئًا، وَلَمْ يَقُلْ داسكي شَيْئًا. وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَكُنْ بلاكي قَدِ اسْتَخْدَمَ لِسَانَهُ، فَقَدِ اسْتَخْدَمَ عَيْنَيْهِ. وَرَأَى عَلَى حَافَةِ الشَّاطِئِ مَا يُشْبِهُ مَجْمُوعَةً كَبِيرَةً مِنَ الشُّجَيْرَاتِ الصَّغِيرَةِ الْمُتَلَاصِقَةِ عِنْدَ حَافَةِ الْمَاءِ. وَكَانَ مُخْتَلِطًا مَعَهَا مَجْمُوعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ الْبُنِّيَّةِ. بَدَتْ غَيْرَ مُؤْذِيَةٍ وَبَرِيئَةً لِلْغَايَةِ، وَلَكِنَّ بلاكي كَانَ يَعْرِفُ كُلَّ بُوصَةٍ مِنْ شَاطِئِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الشُّجَيْرَاتِ لَمْ تَكُنْ فِي هَذَا الْمَكَانِ خَلَالَ الصَّيْفِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهَا لَمْ تَنْمُ فِي هَذَا الْمَكَانِ.

فَطَارَ فَوْقَهَا مُبَاشَرَةً، وَوَجَدَ وَرَاءَهَا بَعْضَ قِطَعِ الْخَشَبِ. لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْأَخْشَابُ مَوْجُودَةً هُنَاكَ عِنْدَمَا مَرَّ بِذَلِكَ الْمَكَانِ مُنْذُ بِضْعَةِ أَيَّامٍ. كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ ذَلِكَ.

قَالَ بلاكي بِصَوْتٍ خَفِيضٍ: «آهْ! تَبْدُو لِي هَذِهِ الشُّجَيْرَاتُ مُنَاسِبَةً — مُنَاسِبَةً تَمَامًا — لِجُلُوسِ صَيَّادٍ عَلَيْهَا. فَإِذَا جَلَسَ الصَّيَّادُ هُنَاكَ خَلْفَ هَذِهِ الشُّجَيْرَاتِ، فَسَيَتَوَارَى عَنْ أَنْظَارِ أَيِّ بَطَّةٍ قَدْ تَأْتِي لِلْبَحْثِ عَنِ الذُّرَةِ الصَّفْرَاءِ اللَّذِيذَةِ الْمَنْثُورَةِ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ. هَذَا الْأَمْرُ لَا يَبْدُو مُرِيحًا، أَجَلْ، لَا يَبْدُو مُرِيحًا. أَظُنُّ أَنَّنِي سَأُرَاقِبُ هَذَا الْمَكَانَ.»

عَادَ بلاكي عِدَّةَ مَرَّاتٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ. وَفِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ وَجَدَ أَنَّ داسكي وَأَقَارِبَهُ قَدْ غَادَرُوا الْمَكَانَ. وَعِنْدَمَا عَادَ عَصْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، رَأَى الرَّجُلَ نَفْسَهُ الَّذِي رَآهُ عَصْرَ الْيَوْمِ السَّابِقِ، وَكَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ نَفْسَهُ؛ إِذْ كَانَ يَنْثُرُ الذُّرَةَ الصَّفْرَاءَ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ. وَكَمَا حَدَثَ فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ، غَادَرَ الْمَكَانَ فِي قَارِبٍ.

تَمْتَمَ بلاكي بَيْنَمَا يَهُزُّ رَأْسَهُ: «هَذَا الْأَمْرُ لَا يُرِيحُنِي، أَجَلْ لَا يُرِيحُنِي.»

الفصل العشرون

بلاكي يُحَذِّرُ الْآخَرِينَ

عِنْدَمَا تَرَى غَيْرَكَ فِي خَطَرٍ،
نَبِّهْهُ وَلَوْ كَانَ غَرِيبًا لِيَأْخُذَ الْحَذَرَ.

الْغُرَابُ بلاكي

ظَلَّ الرَّجُلُ يَأْتِي يَوْمِيًّا طِيلَةَ أُسْبُوعٍ فِي قَارِبٍ لِيَنْثُرَ الذُّرَةَ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ فِي بُقْعَةٍ بِعَيْنِهَا عَلَى ضِفَافِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، وَكَانَ بلاكي يُرَاقِبُهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَهُزُّ رَأْسَهُ الْأَسْوَدَ مُحَدِّثًا نَفْسَهُ بِأَنَّهُ غَيْرُ مُرْتَاحٍ لِهَذَا الْأَمْرِ، وَأَنَّهُ مُتَأَكِّدٌ أَنَّ وَرَاءَهُ غَرَضًا شِرِّيرًا. أَحْيَانًا كَانَ بلاكي يُرَاقِبُ عَنْ بُعْدٍ، وَأَحْيَانًا أُخْرَى كَانَ يُحَلِّقُ فَوْقَ الرَّجُلِ. وَلَكِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةً فِي أَيِّ مَرَّةٍ.

كَانَ بلاكي يَطِيرُ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ كُلَّ يَوْمٍ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ، فَيَجِدُ داسكي وَأَقَارِبَهُ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ وَالْأُرْزِ الْبَرِّيِّ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الْمُحَدَّدِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ قَضَوُا اللَّيْلَ فِي هَذَا الْمَكَانِ. كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ جَاءُوا اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ وَقْتَ الْغَسَقِ لِيَأْكُلُوا الذُّرَةَ الصَّفْرَاءَ الَّتِي يَنْثُرُهَا الرَّجُلُ عَصْرًا فِي هَذَا الْمَكَانِ.

قَالَ بلاكي مُحَدِّثًا نَفْسَهُ: «لَا شَأْنَ لِي بِمَا تَفْعَلُهُ تِلْكَ الْبَطَّاتُ، وَلَكِنِّي مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّ شَيْئًا سَيَحْدُثُ لِبَعْضِهِمْ يَوْمًا مَا مِثْلَ تَأَكُّدِي مِنْ سَوَادِ رِيشِ ذَيْلِي. رُبَّمَا انْطَلَتْ عَلَيْهِمْ خُدْعَةُ هَذَا الرَّجُلِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَنْطَلِ عَلَيَّ، لَمْ تَنْطَلِ عَلَيَّ الْبَتَّةَ. لَمْ يَكُنْ مَعَهُ بُنْدُقِيَّةٌ فِي أَيِّ مَرَّةٍ رَأَيْتُهُ فِيهَا، وَلَكِنَّهُ صَيَّادٌ، أَشْعُرُ بِذَلِكَ فِي أَعْمَاقِي. إِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ الْبَطَّاتِ الْحَمْقَاوَاتِ تَأْتِي إِلَى هُنَا كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ أَجْلِ الذُّرَةِ الَّتِي يَنْثُرُهَا، وَيَعْرِفُ أَنَّهَا بَعْدَ أَنْ تَأْتِيَ إِلَى هُنَا بِضْعَ

مَرَّاتٍ دُونَ أَنْ تَجِدَ مَا يُخِيفُهَا، سَتَطْمَئِنُّ إِلَى أَنَّ الْمَكَانَ آمِنٌ، وَلَا تَشُكُّ فِيهِ مُطْلَقًا. ثُمَّ إِنَّهُ سَوْفَ يَخْتَبِئُ خَلْفَ تِلْكَ الشُّجَيْرَاتِ الَّتِي وَضَعَهَا بِالْقُرْبِ مِنْ حَافَةِ الْمَاءِ وَيَنْتَظِرُهَا بِبُنْدُقِيَّتِهِ الرَّهِيبَةِ. هَذَا هُوَ مَا سَيَفْعَلُهُ وَلَا شَكَّ.»

أَخِيرًا قَرَّرَ بلاكي أَنْ يُلَمِّحَ بِالْأَمْرِ لِداسكي، فَذَهَبَ لِزِيَارَتِهِ صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِي. قَالَ بلاكي لِداسكي، الَّذِي كَانَ يَسْبَحُ أَمَامَهُ: «صَبَاحُ الْخَيْرِ، أَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ فِي أَفْضَلِ حَالٍ كَمَا يَبْدُو عَلَيْكَ.»

رَدَّ داسكي قَائِلًا: «كُوَاكْ، كُوَاكْ، عِنْدَمَا يُطْرِي الْغُرَابُ بلاكي أَحَدًا، فَإِنَّهُ يُرِيدُ مِنْهُ شَيْئًا. مَاذَا تُرِيدُ هَذِهِ الْمَرَّةَ؟»

رَدَّ بلاكي: «لَا شَيْءَ، أُقْسِمُ بِشَرَفِي. لَا يُوجَدُ شَيْءٌ يَعْنِينِي هُنَا، رَغْمَ أَنَّهُ يَبْدُو أَنَّهُ يُوجَدُ الْكَثِيرُ لَكَ وَلِأَقَارِبِكَ، بِمَا أَنَّنِي أَجِدُكَ وَأَقَارِبَكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ نَفْسِهِ كُلَّ صَبَاحٍ. مَا السَّبَبُ فِي ذَلِكَ؟»

رَدَّ داسكي بِصَوْتٍ خَفِيضٍ كَمَا لَوْ كَانَ خَائِفًا مِنْ أَنْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ: «ذُرَةٌ! ذُرَةٌ صَفْرَاءُ لَذِيذَةٌ!»

هَتَفَ بلاكي مُتَعَجِّبًا: «ذُرَةٌ!» وَكَأَنَّ الْمُفَاجَأَةَ صَعَقَتْهُ. وَسَأَلَ: «كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَصِلَ الذُّرَةُ إِلَى الْمِيَاهِ هُنَا؟»

هَزَّ داسكي رَأْسَهُ وَقَالَ: «لَا تَسْأَلْنِي؛ فَأَنَا لَا أَدْرِي. لَيْسَ لَدَيَّ أَدْنَى فِكْرَةٍ. كُلُّ مَا أَعْرِفُهُ هُوَ أَنَّنَا نَجِدُهَا هُنَا عِنْدَمَا نَأْتِي كُلَّ مَسَاءٍ. كَيْفَ تَصِلُ إِلَى هُنَا، لَا أَعْرِفُ، كَمَا أَنَّنِي لَا أَهْتَمُّ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ. يَكْفِينِي وُجُودُهَا هُنَا.»

قَالَ بلاكي: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا هُنَا يَأْتِي عَصْرَ كُلِّ يَوْمٍ. ظَنَنْتُ أَنَّهُ رُبَّمَا يَكُونُ صَيَّادًا.»

فَسَأَلَهُ داسكي بِارْتِيَابٍ: «هَلْ كَانَ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةً رَهِيبَةً؟»

رَدَّ بلاكي: «لَا.»

فَهَتَفَ داسكي وَقَدْ بَدَا عَلَيْهِ الِارْتِيَاحُ: «إِذَنْ هُوَ لَيْسَ صَيَّادًا.»

فَقَالَ بلاكي مُلْمِحًا إِلَى ظَنِّهِ: «وَلَكِنْ رُبَّمَا يَجْلِبُ مَعَهُ بُنْدُقِيَّةً يَوْمًا مَا وَيَنْتَظِرُكُمْ حَتَّى تَأْتُوا لِتَنَاوُلِ الْعَشَاءِ. يُمْكِنُهُ أَنْ يَخْتَبِئَ خَلْفَ تِلْكَ الشُّجَيْرَاتِ، كَمَا تَعْلَمُ.»

أَلْقَى داسكي رَأْسَهُ إِلَى الْوَرَاءِ وَرَدَّ قَائِلًا: «غَيْرُ مَعْقُولٍ! لَمْ نَجِدْ شَيْئًا يُنْذِرُ بِالْخَطَرِ مُنْذُ أَنْ جِئْنَا إِلَى هُنَا. إِنَّنِي أَعْرِفُكَ يَا بلاكي؛ إِنَّكَ تَغَارُ مِنَّا؛ لِأَنَّنَا وَجَدْنَا طَعَامًا وَفِيرًا هُنَا،

وَلَمْ تَجِدْ أَنْتَ شَيْئًا، وَتُحَاوِلُ أَنْ تُخِيفَنَا. لَكِنِّي أُخْبِرُكَ أَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُخِيفَنَا وَتُبْعِدَنَا عَنْ مِثْلِ هَذَا الطَّعَامِ الرَّائِعِ الَّذِي نَجِدُهُ هُنَا؛ فَإِلَيْكَ عَنَّا!»

الفصل الحادي والعشرون

بلاكي يَتَأَكَّدُ أَخِيرًا

مَنْ يَتَغَلَّبُ عَلَى الْخَوْفِ مِنْ أَجْلِ الْآخَرِينَ
شُجَاعٌ حَقًّا، هَذَا أَكِيدٌ.

الْغُرَابُ بلاكي

فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنْ فَتْرَةِ مَا بَعْدَ الظَّهِيرَةِ، كَانَ بلاكي فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. وَكَالْمُعْتَادِ، مَرَّ فَوْقَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ لِيَرَى مَا إِذَا كَانَ الرَّجُلُ يَنْثُرُ حَبَّاتِ الذُّرَةِ مِنْ أَجْلِ الْبَطِّ؛ فَلَمْ يَجِدْهُ هُنَاكَ وَلَمْ يَرَ أَحَدًا عَلَى ضِفَافِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ.

فَكَّرَ بلاكي قَائِلًا: «إِنَّهُ لَمْ يَأْتِ الْيَوْمَ، أَوْ إِنَّهُ جَاءَ مُبَكِّرًا وَغَادَرَ.» ثُمَّ لَمَحَتْ عَيْنَاهُ الثَّاقِبَتَانِ شَيْئًا جَعَلَهُ يَمِيلُ جَانِبًا وَيَتَوَجَّهُ إِلَى شَجَرَةٍ مُعَيَّنَةٍ مُبَاشَرَةً، وَمِنْ فَوْقِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى كُلَّ مَا يَحْدُثُ لِمَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ. فَمَا الَّذِي رَآهُ بلاكي؟ كَانَ مَا رَآهُ قَارِبًا آتِيًا مِنْ أَعْلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ.

جَلَسَ بلاكي ثَابِتًا يُرَاقِبُ مَا يَحْدُثُ. وَسُرْعَانَ مَا دَخَلَ الْقَارِبُ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ، وَبَعْدَ لَحْظَةٍ نَزَلَ مِنْهُ رَجُلٌ عَلَى الشَّاطِئِ. كَانَ هُوَ نَفْسَ الرَّجُلِ الَّذِي رَآهُ بلاكي يَنْثُرُ الذُّرَةَ بَيْنَ الزَّرْعِ يَوْمِيًّا طِيلَةَ أُسْبُوعٍ. لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ شَكٌّ فِي ذَلِكَ، كَانَ هُوَ ذَاكَ الرَّجُلَ نَفْسَهُ.

صَاحَ بلاكي: «يَاهْ!» وَكَادَ يَفْقِدُ تَوَازُنَهُ مِنْ فَرْطِ الْإِثَارَةِ. «يَاااهْ! كَمَا تَوَقَّعْتُ تَمَامًا!» كَانَتْ عَيْنَا بلاكي الثَّاقِبَتَانِ قَدْ لَمَحَتَا الرَّجُلَ يَحْمِلُ شَيْئًا، وَهَذَا الشَّيْءُ كَانَ بُنْدُقِيَّةً، بُنْدُقِيَّةً رَهِيبَةً. وَبلاكي يُمَيِّزُ الْبَنَادِقَ الرَّهِيبَةَ مَتَى وَقَعَ عَلَيْهَا بَصَرُهُ.

مَشَى الصَّيَّادُ — فَبِالطَّبْعِ كَانَ صَيَّادًا — عَلَى ضِفَّةِ النَّهْرِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الشُّجَيْرَاتِ الَّتِي لَاحَظَهَا بلاكي بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَاءِ، وَالَّتِي كَانَ يَعْرِفُ أَنَّهَا لَمْ تَنْبُتْ فِي هَذَا الْمَكَانِ. تَفَقَّدَ الصَّيَّادُ النَّهْرَ الْكَبِيرَ بِعَيْنَيْهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي نَثَرَ فِيهِ الذُّرَةَ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ، فَلَمْ يَرَ بِهِ حَبَّةَ ذُرَةٍ. وَبَدَا أَنَّ هَذَا أَسْعَدَهُ. ثُمَّ عَادَ إِلَى الشُّجَيْرَاتِ وَجَلَسَ عَلَى قِطْعَةِ خَشَبٍ خَلْفَهَا، وَاضِعًا بُنْدُقِيَّتَهُ الرَّهِيبَةَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ.

غَمْغَمَ بلاكي: «كُنْتُ مُتَأَكِّدًا. سَوْفَ يَنْتَظِرُ هُنَاكَ حَتَّى قُدُومِ الْبَطِّ، وَبَعْدَهَا سَيَحْدُثُ شَيْءٌ مُرَوِّعٌ. يَا لَهُمْ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ بَغِيضَةٍ هَؤُلَاءِ الصَّيَّادِينَ! إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا عَنِ الْإِنْصَافِ. أَجَلْ، إِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مَا هُوَ الْإِنْصَافُ. لَقَدْ وَضَعَ الطَّعَامَ فِي هَذَا الْمَكَانِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ؛ حَيْثُ سَيَكُونُ مِنَ الْمُحَتَّمِ أَنْ يَجِدَهُ داسكي وَأَقَارِبُهُ، وَانْتَظَرَ حَتَّى اطْمَأَنُّوا تَمَامًا إِلَى عَدَمِ وُجُودِ خَطَرٍ؛ حَتَّى لَا يَشْعُرُوا بِأَيِّ ارْتِيَابٍ. إِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مُطْمَئِنِّينَ تَمَامًا إِلَى أَنَّ الْوَضْعَ آمِنٌ، حَتَّى إِنَّهُمْ لَنْ يَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ. حِينَهَا سَوْفَ يُطْلِقُ بُنْدُقِيَّتَهُ الرَّهِيبَةَ وَيَقْتُلُهُمْ دُونَ مَنْحِهِمْ أَيَّ فُرْصَةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ.»

«إِنَّ الثَّعْلَبَ ريدي صَيَّادٌ مَاكِرٌ وَمَاهِرٌ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَ شَيْئًا كَهَذَا، وَلَا الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ وَلَا أَيُّ كَائِنٍ آخَرَ مِنْ ذَوِي الْفَرْوِ أَوِ الرِّيشِ. رُبَّمَا يَخْتَبِئُونَ وَيُحَاوِلُونَ مُبَاغَتَةَ أَحَدِهِمْ. لَا بَأْسَ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يُفْتَرَضُ بِكُلٍّ مِنَّا أَنْ يَحْذَرَ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ. يَا إِلَهِي! مَاذَا عَسَايَ أَنْ أَفْعَلَ؟ لَقَدْ حَانَ وَقْتُ عَوْدَتِي إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ؛ فَسَوْفَ تَأْتِي الظِّلَالُ السَّوْدَاءُ عَمَّا قَرِيبٍ مِنْ وَرَاءِ التِّلَالِ الْأُرْجُوَانِيَّةِ، وَيَجِبُ أَنْ أَكُونَ فِي أَمَانِ شَجَرَةِ الشَّوْكَرَانِ آنَذَاكَ. سَوْفَ أَمُوتُ مِنَ الْخَوْفِ إِذَا بَقِيتُ فِي الْخَارِجِ بَعْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ. لَكِنْ يَنْبَغِي تَحْذِيرُ تِلْكَ الْبَطَّاتِ. يَا إِلَهِي! مَاذَا أَفْعَلُ؟!»

تَطَلَّعَ بلاكي فِي اتِّجَاهِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ ثُمَّ فِي اتِّجَاهِ التِّلَالِ الْأُرْجُوَانِيَّةِ الَّتِي سَيَأْوِي خَلْفَهَا قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ الْمَرِحُ إِلَى فِرَاشِهِ قَرِيبًا. وَارْتَجَفَ عِنْدَمَا فَكَّرَ فِي الظِّلَالِ السَّوْدَاءِ الَّتِي سَتَأْتِي عَمَّا قَرِيبٍ مِنْ عِنْدِ التِّلَالِ الْأُرْجُوَانِيَّةِ عَابِرَةً النَّهْرَ الْكَبِيرَ وَتَغْزُو الْمُرُوجَ الْخَضْرَاءَ. وَرُبَّمَا يَأْتِي مَعَهَا السَّيِّدُ هوتي، الَّذِي لَنْ يُمَانِعَ مُطْلَقًا فِي تَنَاوُلِ غُرَابٍ عَلَى الْعَشَاءِ. وَتَمَنَّى لَوْ كَانَ عَلَى شَجَرَةِ الشَّوْكَرَانِ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ.

ثُمَّ نَظَرَ بلاكي إِلَى الصَّيَّادِ الَّذِي يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّتَهُ الرَّهِيبَةَ وَفَكَّرَ فِيمَا قَدْ يَحْدُثُ — مَا الَّذِي مِنَ الْمُحَتَّمِ أَنْ يَحْدُثَ — مَا لَمْ يُحَذِّرِ الْبَطَّ. وَتَمْتَمَ قَائِلًا: «سَوْفَ أَنْتَظِرُ بُرْهَةً.» وَحَاوَلَ أَنْ يَتَشَجَّعَ، وَلَكِنَّهُ ارْتَعَدَ خَوْفًا بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ.

الفصل الثاني والعشرون

بلاكي يَعُودُ إِلَى الْمَنْزِلِ سَعِيدًا

لَا سَعَادَةَ أَكْبَرُ مِنْ سَعَادَةِ مُسَاعَدَةِ الْغَيْرِ.

الْغُرَابُ بلاكي

جَلَسَ بلاكي عَلَى قِمَّةِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ ضِفَّةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ مُحْتَارًا بِشَأْنِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَهُ. أَرَادَ أَنْ يَعُودَ لِبَيْتِهِ عَلَى شَجَرَةِ الشَّوْكَرَانِ الْكَبِيرَةِ كَثِيفَةِ الْأَغْصَانِ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ قَبْلَ الْغَسَقِ؛ إِذْ إِنَّهُ يَخَافُ الظَّلَامَ؛ أَيْ إِنَّهُ يَخَافُ الْبَقَاءَ خَارِجَ الْمَنْزِلِ بَعْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ.

قَالَ صَوْتٌ دَاخِلَهُ: «عُدْ إِلَى الْمَنْزِلِ؛ فَالْوَقْتُ الْآنَ يَتَّسِعُ بِالْكَادِ لِلْعَوْدَةِ قَبْلَ وُصُولِ الظِّلَالِ السَّوْدَاءِ. لَا تُضِعْ مَزِيدًا مِنَ الْوَقْتِ هُنَا. إِنَّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ لِتِلْكَ الْبَطَّاتِ الْحَمْقَاوَاتِ لَيْسَ مِنْ شَأْنِكَ، وَلَا يُوجَدُ مَا يُمْكِنُكَ فِعْلُهُ بِأَيِّ حَالٍ. هَيَّا عُدْ إِلَى الْمَنْزِلِ.»

قَالَ صَوْتٌ خَفِيضٌ آخَرُ دَاخِلَهُ: «انْتَظِرْ بِضْعَ دَقَائِقَ. لَا تَكُنْ جَبَانًا. يَنْبَغِي أَنْ تُخْبِرَ داسكي وَسِرْبَهُ أَنَّهُ ثَمَّةَ صَيَّادٌ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةً رَهِيبَةً فِي انْتِظَارِهِمْ. هَلْ صَحِيحٌ أَنَّ مَا يَحْدُثُ لِلْبَطِّ لَيْسَ مِنْ شَأْنِكَ؟! أَعِدِ التَّفْكِيرَ يَا بلاكي؛ أَعِدِ التَّفْكِيرَ. مِنْ وَاجِبِ كُلِّ مَنْ يَرَى خَطَرًا مُشْتَرَكًا أَنْ يُنْذِرَ جِيرَانَهُ. إِذَا حَدَثَ شَيْءٌ مُرَوِّعٌ لِداسكي لِأَنَّكَ كُنْتَ خَائِفًا مِنَ الظَّلَامِ؛ فَلَنْ يَهْنَأَ لَكَ بَالٌ أَبَدًا. ابْقَ قَلِيلًا وَوَاصِلِ الْمُرَاقَبَةَ.»

لَمْ يَمْضِ أَكْثَرُ مِنْ خَمْسِ دَقَائِقَ إِلَّا وَرَأَى بلاكي شَيْئًا أَشْعَرَهُ بِالسَّعَادَةِ لِأَنَّهُ وَاصَلَ الْمُرَاقَبَةَ. كَانَ خَطًّا أَسْوَدَ يَتَحَرَّكُ بِالْقُرْبِ مِنْ صَفْحَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، وَكَانَ قَادِمًا نَحْوَهُ. كَانَ يَعْرِفُ مَا هَذَا الْخَطُّ الْأَسْوَدُ، فَنَظَرَ إِلَى الصَّيَّادِ الْمُخْتَبِئِ خَلْفَ الشُّجَيْرَاتِ الْقَرِيبَةِ مِنْ

حَافَةِ الْمَاءِ. كَانَ الصَّيَّادُ جَاثِمًا عَلَى الْأَرْضِ مُمْسِكًا بِبُنْدُقِيَّتِهِ الرَّهِيبَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَخْتَلِسُ النَّظَرَ مِنْ وَرَاءِ الشُّجَيْرَاتِ مُرَاقِبًا الْخَطَّ الْأَسْوَدَ. كَانَ يَعْرِفُ هُوَ الْآخَرُ مَا هُوَ ذَلِكَ الْخَطُّ الْأَسْوَدُ؛ إِنَّهُ سِرْبُ الْبَطِّ الطَّائِرِ.

ارْتَعَشَ بلاكي مَرَّةً أُخْرَى مِنْ قِمَّةِ رَأْسِهِ وَحَتَّى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةَ لَمْ تَكُنِ الرَّعْشَةُ بِسَبَبِ خَوْفِهِ مِنَ الْبَقَاءِ خَارِجَ الْمَنْزِلِ فِي اللَّيْلِ، وَإِنَّمَا مِنْ فَرْطِ الْإِثَارَةِ؛ فَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ الْبَطَّاتِ أَصْبَحَتْ تَتُوقُ لِمَزِيدٍ مِنَ الذُّرَةِ؛ تِلْكَ الذُّرَةِ الصَّفْرَاءِ اللَّذِيذَةِ الَّتِي كَانَتْ تَجِدُهَا كُلَّ لَيْلَةٍ لِمُدَّةِ أُسْبُوعٍ مَنْثُورَةً بَيْنَ النَّبَاتَاتِ أَمَامَ الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَبِئُ فِيهِ الصَّيَّادُ مُبَاشَرَةً، حَتَّى إِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعِ انْتِظَارَ قُدُومِ الظِّلَالِ السَّوْدَاءِ. كَانَتْ مُطْمَئِنَّةً تَمَامًا إِلَى عَدَمِ وُجُودِ خَطَرٍ، حَتَّى إِنَّهَا أَتَتْ لِتَأْكُلَ دُونَ انْتِظَارِ الظِّلَالِ السَّوْدَاءِ، كَمَا تَفْعَلُ فِي الْمُعْتَادِ. وَقَدْ كَانَ بلاكي مَسْرُورًا؛ إِذْ رُبَّمَا صَارَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يُحَذِّرَهَا.

نَحْوَ مُنْتَصَفِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، كَانَ سِرْبُ الْبَطِّ يَطِيرُ فَوْقَ الْمِيَاهِ مُبَاشَرَةً، بِقِيَادَةِ داسكي. وَيَا لَسُرْعَةِ طَيَرَانِ تِلْكَ الطُّيُورِ الْكَبِيرَةِ التِّسْعَةِ! كَانَ بلاكي يَحْسُدُهَا عَلَى سُرْعَةِ أَجْنِحَتِهَا؛ فَقَدْ طَارَتْ مُتَجَاوِزَةً الصَّيَّادَ الْمُخْتَبِئَ بَيْنَ الشُّجَيْرَاتِ وَقَطَعَتْ مَسَافَةً كَبِيرَةً فَوْقَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ. وَلِوَهْلَةٍ ظَنَّ بلاكي أَنَّهَا سَتُوَاصِلُ طَرِيقَهَا إِلَى أَعْلَى النَّهْرِ وَلَنْ تَذْهَبَ لِتَنَاوُلِ الطَّعَامِ. ثُمَّ إِنَّهَا مَالَتْ نَحْوَ الضِّفَّةِ الْأُخْرَى، وَدَارَتْ فِي حَلْقَةٍ وَتَوَجَّهَتْ مُبَاشَرَةً نَحْوَ الصَّيَّادِ الْمُخْتَبِئِ. نَظَرَ بلاكي إِلَيْهِ وَرَآهُ اسْتَعَدَّ لِإِطْلَاقِ النَّارِ.

فَدُونَ تَفْكِيرٍ يُذْكَرُ، بَسَطَ بلاكي جَنَاحَيْهِ وَطَارَ مِنْ عَلَى الشَّجَرَةِ، صَائِحًا بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «كَاوْ كَاوْ كَاوْ كَاوْ كَاوْ! كَاوْ كَاوْ كَاوْ كَاوْ كَاوْ!» كَانَتْ هَذِهِ صَيْحَةَ الْخَطَرِ الَّتِي يَعْرِفُهَا كُلُّ مَنْ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ.

عَلَى الْفَوْرِ دَارَ داسكي وَبَدَأَ فِي التَّحْلِيقِ عَالِيًا وَتَبِعَهُ بَقِيَّةُ السِّرْبِ، وَحِينَ مَرُّوا مِنْ فَوْقِ الصَّيَّادِ الْمُخْتَبِئِ كَانُوا قَدْ وَصَلُوا إِلَى ارْتِفَاعٍ عَالٍ جِدًّا، حَتَّى لَمْ يَعُدْ إِطْلَاقُ النَّارِ عَلَيْهِمْ مُجْدِيًا. بِالْفِعْلِ، صَوَّبَ الصَّيَّادُ بُنْدُقِيَّتَهُ نَاحِيَتَهُمْ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُطْلِقِ النَّارَ؛ فَهُوَ لَمْ يَرْغَبْ فِي أَنْ يُخِيفَهُمْ حَتَّى يَعُودُوا مَرَّةً أُخْرَى. ثُمَّ اسْتَدَارَ السِّرْبُ وَحَلَّقَ عَائِدًا فِي الِاتِّجَاهِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ، وَفِي غُضُونِ دَقَائِقَ قَلِيلَةٍ كَانُوا مُجَرَّدَ خَطٍّ أَسْوَدَ فِي سَبِيلِهِ لِلِاخْتِفَاءِ عِنْدَ الطَّرَفِ الْآخَرِ لِلنَّهْرِ الْكَبِيرِ.

اتَّجَهَ بلاكي نَحْوَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ مُبَاشَرَةً، ضَاحِكًا أَثْنَاءَ طَيَرَانِهِ. كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْبَطَّ لَنْ يَعُودَ إِلَّا بَعْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ. لَقَدْ أَنْقَذَهُمْ هَذِهِ الْمَرَّةَ، وَكَانَ سَعِيدًا لِلْغَايَةِ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَلْحَظِ الظِّلَالَ السَّوْدَاءَ مِنَ الْأَسَاسِ. أَمَّا الصَّيَّادُ فَقَدْ وَقَفَ وَأَخَذَ يَهُزُّ قَبْضَتَهُ لِبلاكي مُتَوَعِّدًا.

الفصل الثالث والعشرون

بلاكي يَسْتَدْعِي ابْنَ الْمُزَارِعِ براون

اسْتَيْقَظَ بلاكي شَاعِرًا بِسَعَادَةٍ بَالِغَةٍ؛ فَإِنَهُ قَدْ أَنْقَذَ داسكي وَسِرْبَهُ مِنَ الصَّيَّادِ صَاحِبِ الْبُنْدُقِيَّةِ الرَّهِيبَةِ قَبْلَ الْغَسَقِ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ. لَمْ يَكُنْ مُتَأَكِّدًا تَمَامًا مِمَّا إِذَا كَانَتْ سَعَادَتُهُ نَابِعَةً مِنْ إِنْقَاذِ سِرْبِ الْبَطِّ بِتَحْذِيرِهِمْ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ، أَمْ مِنْ إِحْبَاطِ خُطَّةِ الصَّيَّادِ؛ فَبلاكي يَكْرَهُ الصَّيَّادِينَ ذَوِي الْبَنَادِقِ الرَّهِيبَةِ، هُوَ فِي ذَلِكَ مِثْلُ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ الصِّغَارِ جَمِيعًا.

بَدَأَ بلاكي الْبَحْثَ عَنْ إِفْطَارِهِ مَسْرُورًا. وَبَعْدَ الْإِفْطَارِ، طَارَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ لِيَرَى مَا إِذَا كَانَ داسكي يَأْكُلُ بَيْنَ النَّبَاتَاتِ النَّامِيَةِ عَلَى طُولِ الشَّاطِئِ فَلَمْ يَجِدْهُ، وَخَمَّنَ بلاكي أَنَّهُ وَسِرْبَهُ خَافُوا كَثِيرًا مِنْ تَحْذِيرِهِ؛ حَتَّى إِنَّهُمْ لَمْ يَقْتَرِبُوا مِنَ الْمَكَانِ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ.

تَمْتَمَ بلاكي قَائِلًا بَيْنَمَا كَانَ يَهْبِطُ عَلَى قِمَّةِ شَجَرَةٍ، هِيَ نَفْسُ الشَّجَرَةِ الَّتِي كَانَ يُرَاقِبُ مِنْهَا الصَّيَّادَ عَصْرَ الْيَوْمِ السَّابِقِ: «لَكِنَّهُمْ سَيَعُودُونَ بَعْدَ لَيْلَةٍ أَوْ نَحْوِهَا.» وَأَرْدَفَ: «سَوْفَ يَعُودُونَ، وَسَوْفَ يَعُودُ الصَّيَّادُ أَيْضًا. وَإِذَا رَآنِي مَرَّةً أُخْرَى هُنَا؛ فَسَيُطْلِقُ النَّارَ عَلَيَّ. لَقَدْ فَعَلْتُ كُلَّ مَا بِوُسْعِي. عَلَى أَيِّ حَالٍ، لَا بُدَّ أَنَّ داسكي يَمْتَلِكُ مَا يَكْفِي مِنَ التَّعَقُّلِ لِأَنْ يَرْتَابَ فِي هَذَا الْمَكَانِ بَعْدَ ذَلِكَ التَّحْذِيرِ. مَنْ هَذَا؟ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون. أَتَمَنَّى لَوْ يَأْتِي إِلَى هُنَا. إِذَا عَرَفَ بِأَمْرِ هَذَا الصَّيَّادِ، فَرُبَّمَا يَفْعَلُ شَيْئًا لِإِبْعَادِهِ عَنْ هُنَا. سَأَرَى إِنْ كُنْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْتَدْعِيَهُ إِلَى هُنَا.»

بَدَأَ بلاكي فِي الصِّيَاحِ كَمَا يَفْعَلُ عِنْدَمَا يَكْتَشِفُ شَيْئًا وَيَرْغَبُ فِي إِخْبَارِ الْآخَرِينَ بِهِ. فَقَدْ صَاحَ كَمَا لَوْ كَانَ يَشْعُرُ بِإِثَارَةٍ بَالِغَةٍ: «كَاوْ كَاوْ كَااوْ كَااوْ كَاوْ كَاوْ كَااوْ!»

لَمْ يَكُنْ لَدَى ابْنِ الْمُزَارِعِ براون مَا يَفْعَلُهُ هَذَا الصَّبَاحَ؛ لِذَا خَرَجَ لِلْمَشْيِ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، آمِلًا فِي رُؤْيَةِ بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ ذَوِي الرِّيشِ وَالْفِرَاءِ. وَسَمِعَ صَيْحَاتِ بلاكي الْمَلِيئَةَ بِالْحَمَاسِ؛ فَسَلَكَ ذَلِكَ الِاتِّجَاهَ عَلَى الْفَوْرِ.

حَدَّثَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون نَفْسَهُ قَائِلًا: «لَقَدِ اكْتَشَفَ الْوَغْدُ الْأَسْوَدُ شَيْئًا عَلَى ضِفَّةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ. سَوْفَ أَذْهَبُ هُنَاكَ لِأَسْتَطْلِعَ الْأَمْرَ، فَلَا يُوجَدُ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَفُوتَ عَيْنَيْ هَذَا الْغُرَابِ الْفُضُولِيِّ الْأَسْوَدِ الثَّاقِبَتَيْنِ. لَقَدْ قَادَنِي إِلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُثِيرَةِ، مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى. هَا هُوَ هُنَاكَ عَلَى قِمَّةِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ عِنْدَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ.»

عِنْدَمَا اقْتَرَبَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون، طَارَ بلاكي وَاخْتَفَى أَسْفَلَ ضِفَّةِ النَّهْرِ. فَضَحِكَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون وَتَمْتَمَ: «أَيًّا كَانَ الشَّيْءُ، فَهُوَ هُنَاكَ بِالْأَسْفَلِ.»

ثُمَّ تَقَدَّمَ مُسْرِعًا وَلَكِنْ فِي هُدُوءٍ، وَسُرْعَانَ مَا وَصَلَ إِلَى حَافَةِ الضِّفَّةِ. فَطَارَ بلاكي إِلَى أَعْلَى وَهُوَ يَنْعِقُ بِاهْتِيَاجٍ مُتَظَاهِرًا بِالْفَزَعِ؛ فَضَحِكَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون مَرَّةً أُخْرَى وَقَالَ: «إِنَّكَ تَتَظَاهَرُ، تُحَاوِلُ التَّظَاهُرَ بِأَنَّنِي فَاجَأْتُكَ، بَيْنَمَا كُنْتَ تَعْلَمُ طَوَالَ الْوَقْتِ أَنَّنِي قَادِمٌ وَكُنْتَ تَنْتَظِرُنِي. مَاذَا وَجَدْتَ هُنَا؟»

جَالَ بِبَصَرِهِ فِي الشَّاطِئِ بِلَهْفَةٍ، وَمَا لَبِثَ أَنْ رَأَى صَفًّا مِنَ الشُّجَيْرَاتِ الْقَصِيرَةِ بِالْقُرْبِ مِنْ حَافَةِ الْمَاءِ؛ فَعَلِمَ مَا هِيَ عَلَى الْفَوْرِ. وَصَاحَ: «مَخْبَأٌ لِصَيْدِ الْبَطِّ! لَقَدْ بَنَى أَحَدُ الصَّيَّادِينَ مَخْبَأً هُنَا يُمْكِنُهُ صَيْدُ الْبَطِّ مِنْهُ. يَا تُرَى هَلِ اصْطَادَ مِنْهُ فِعْلًا؟ أَتَمَنَّى أَلَّا يَكُونَ قَدْ فَعَلَ.»

نَزَلَ إِلَى الْمَخْبَأِ وَتَفَقَّدَهُ. وَلَمَحَتْ عَيْنَاهُ حَبَّتَيْ ذُرَةٍ دَاخِلَ الْمَخْبَأِ، فَعَبَسَ وَجْهُهُ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «ذَاكَ الرَّجُلُ يَسْتَدْرِجُ الْبَطَّ، فَقَدْ كَانَ يَنْثُرُ الذُّرَةَ لِيَجْعَلَهُ يَأْتِي إِلَى هُنَا بِانْتِظَامٍ. يَا إِلَهِي! كَمْ أَكْرَهُ ذَلِكَ! إِنَّ صَيْدَ الْبَطِّ دُونَ خِدَاعٍ أَمْرٌ سَيِّئٌ فِي حَدِّ ذَاتِهِ، وَلَكِنَّ إِطْعَامَهُ ثُمَّ قَتْلَهُ ... أُفٍّ! يَا تُرَى هَلِ اصْطَادَ أَيًّا مِنْهُ؟!»

نَظَرَ حَوْلَهُ مُتَأَمِّلًا، ثُمَّ صَفَا وَجْهُهُ؛ فَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ اصْطَادَ أَيَّ بَطٍّ؛ لَوَجَدَ رِيشًا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فِي الْمَخْبَأِ، وَهُوَ لَمْ يَجِدْ أَيَّ رِيشٍ.

الفصل الرابع والعشرون

ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يُفَكِّرُ

جَلَسَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون عَلَى ضِفَّةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ يُفَكِّرُ مَلِيًّا؛ أَيْ إِنَّهُ اسْتَغْرَقَ فِي التَّفْكِيرِ. وَجَلَسَ بلاكي عَلَى قِمَّةِ شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ عَلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ وَرَاحَ يُرَاقِبُهُ. كَانَ بلاكي صَامِتًا آنَذَاكَ، وَقَدْ لَاحَتْ نَظْرَةُ فَهْمٍ فِي عَيْنَيْهِ الصَّغِيرَتَيْنِ الْفَطِنَتَيْنِ. فَبِاسْتِدْعَائِهِ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون إِلَى هَذَا الْمَكَانِ، كَانَ قَدْ فَعَلَ كُلَّ مَا بِوُسْعِهِ، وَكَانَ رَاضِيًا إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ عَنْ تَرْكِ الْأَمْرِ لَهُ.

قَالَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون فِي نَفْسِهِ: «بَنَى أَحَدُ الصَّيَّادِينَ هَذَا الْمَخْبَأَ لِكَيْ يَصِيدَ الْبَطَّ الْأَسْوَدَ مِنْهُ، وَاسْتَدْرَجَهُ إِلَى هُنَا بِنَثْرِ الذُّرَةِ لَهُ. وَإِنَّ الْبَطَّ الْأَسْوَدَ مِنْ أَذْكَى أَنْوَاعِ الْبَطِّ الطَّائِرِ، وَلَكِنَّهُ إِذَا كَانَ يَأْتِي إِلَى هُنَا كُلَّ مَسَاءٍ وَيَجِدُ الذُّرَةَ وَلَا يُوجَدُ مَا يُنْذِرُ بِالْخَطَرِ، فَسَيَعْتَقِدُ عَلَى الْأَغْلَبِ أَنَّ هَذَا الْمَكَانَ آمِنٌ وَيَأْتِي مُبَاشَرَةً إِلَيْهِ دُونَ أَدْنَى شَكٍّ. وَاللَّيْلَةَ — أَوْ لَيْلَةً أُخْرَى عَمَّا قَرِيبٍ — سَيَكُونُ الصَّيَّادُ فِي انْتِظَارِهِ.

أَعْتَقِدُ أَنَّ الْقَانُونَ الَّذِي يَسْمَحُ بِصَيْدِ الْبَطِّ لَا بَأْسَ بِهِ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ قَانُونٍ يَمْنَعُ اسْتِدْرَاجَهِ بِالطَّعَامِ. لَيْسَ هَذَا صَيْدًا، بَلَى لَيْسَ صَيْدًا. لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَرْضُ مِلْكًا لِأَبِي، لَعَرَفْتُ كَيْفَ أَتَصَرَّفُ. كُنْتُ سَأَضَعُ لَوْحَةً مَكْتُوبًا عَلَيْهَا: إِنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ مِلْكِيَّةٌ خَاصَّةٌ وَلَا يُسْمَحُ بِالصَّيْدِ فِيهَا. وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ مِلْكًا لِأَبِي، وَلِهَذَا الصَّيَّادِ كُلُّ الْحَقِّ فِي الصَّيْدِ هُنَا. لَهُ حَقُّ التَّوَاجُدِ هُنَا مِثْلِي تَمَامًا. لَيْتَنِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَمْنَعَهُ، وَلَكِنِّي لَا أَعْلَمُ كَيْفَ أَفْعَلُ ذَلِكَ.»

عَبَسَ وَجْهُ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون الْمَلِيءُ بِالنَّمَشِ؛ فَقَدْ كَانَ يُفَكِّرُ بِتَرْكِيزٍ شَدِيدٍ، وَعِنْدَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ عَادَةً مَا يَعْبَسُ.

وَغَمْغَمَ: «أَظُنُّ أَنَّنِي يُمْكِنُنِي هَدْمُ هَذَا الْمَخْبَأِ، وَلَنْ يَعْلَمَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ. وَلَكِنَّ هَذَا لَنْ يُحْدِثَ فَارِقًا كَبِيرًا؛ فَسَوْفَ يَبْنِي مَخْبَأً آخَرَ. عِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ، لَنْ يَكُونَ ذَلِكَ تَصَرُّفًا سَلِيمًا. فَإِنَّ لَهُ كُلَّ الْحَقِّ فِي بِنَاءِ مَخْبَأٍ هُنَا، وَقَدْ بَنَاهُ. إِنَّهُ مِلْكُهُ وَلَيْسَ مِنْ حَقِّي أَنْ أَمَسَّهُ. لَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا لَا يَحِقُّ لِي فِعْلُهُ؛ فَذَلِكَ لَيْسَ مِنَ النَّزَاهَةِ فِي شَيْءٍ. عَلَيَّ أَنْ أُفَكِّرَ فِي طَرِيقَةٍ أُخْرَى لِإِنْقَاذِ ذَلِكَ الْبَطِّ.»

زَادَ وَجْهُهُ عُبُوسًا وَجَلَسَ فَتْرَةً طَوِيلَةً دُونَ حَرَاكٍ. فَجْأَةً صَفَا وَجْهُهُ، وَهَبَّ وَاقِفًا. وَبَدَأَ فِي الضَّحِكِ قَائِلًا: «وَجَدْتُهَا! سَوْفَ أُطْلِقُ النَّارَ أَنَا أَيْضًا!» ثُمَّ ضَحِكَ مَرَّةً أُخْرَى وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَنْزِلِ، وَسُرْعَانَ مَا بَدَأَ يُصَفِّرُ بِالطَّرِيقَةِ ذَاتِهَا الَّتِي يُصَفِّرُ بِهَا عِنْدَمَا يَكُونُ سَعِيدًا.

شَاهَدَهُ بلاكي يَمْضِي فِي طَرِيقِهِ، وَشَعَرَ بِالرِّضَا التَّامِّ. لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَا يُخَطِّطُ لَهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ أَنَّهُ يُخَطِّطُ لِشَيْءٍ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سَيَصِيرُ عَلَى مَا يُرَامُ. رُبَّمَا لَمْ يَكُنْ بلاكي سَيَشْعُرُ بِتِلْكَ الثِّقَةِ لَوْ كَانَ بَاسْتِطَاعَتِهِ فَهْمُ مَا قَالَهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون بِشَأْنِ إِطْلَاقِ النَّارِ بِنَفْسِهِ.

مَضَى بلاكي فِي سَبِيلِهِ، وَقَدْ رَضِيَ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سَيَصِيرُ عَلَى مَا يُرَامُ، وَلَمْ يَعُدْ بِهِ حَاجَةٌ لِلْقَلَقِ عَلَى ذَلِكَ الْبَطِّ. فَلَا يُوجَدُ بَيْنَ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ الصِّغَارِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِابْنِ الْمُزَارِعِ براون مِنَ الْغُرَابِ بلاكي. وَهُوَ خَيْرُ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون هُوَ أَفْضَلُ صَدِيقٍ لَهُمْ.

قَالَ بلاكي ضَاحِكًا: «كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ الْآنَ، كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ.» وَعِنْدَمَا سَمِعَ صَفِيرَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون الْمُبْتَهِجِ تَحْمِلُهُ النَّسَمَاتُ الرَّقِيقَةُ الْمَرِحَةُ، كَرَّرَ قَوْلَهُ: «كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ الْآنَ.»

الفصل الخامس والعشرون

صَدْمَةٌ شَدِيدَةٌ

عِنْدَمَا يَخُونُ الصَّدِيقُ، بِمَنْ تَثِقُ؟
تَرَى بَرَاعِمَ الثِّقَةِ تَفَتَّتَتْ.

الْغُرَابُ بلاكي

كَانَ بلاكي وَاقِفًا عَلَى قِمَّةِ شَجَرَتِهِ الْمُفَضَّلَةِ بِالْقُرْبِ مِنَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ مُبَكِّرًا عَصْرَ هَذَا الْيَوْمِ. لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَا سَوْفَ يَحْدُثُ، وَلَكِنَّهُ شَعَرَ فِي أَعْمَاقِهِ بِأَنَّ شَيْئًا مَا سَيَحْدُثُ، وَقَرَّرَ أَنْ يَكُونَ حَاضِرًا لِيَعْرِفَ. جَلَسَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ طَوِيلًا دُونَ أَنْ يَرَى شَيْئًا خَارِجًا عَنِ الْمَأْلُوفِ. وَفِي النِّهَايَةِ لَمَحَ عَلَى بُعْدٍ خَيَالًا ضَئِيلًا عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، وَحَتَّى مِنْ هَذِهِ الْمَسَافَةِ كَانَ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ؛ كَانَ ذَلِكَ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون، وَكَانَ قَادِمًا نَحْوَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ.

قَالَ بلاكي ضَاحِكًا: «كَمَا ظَنَنْتُ بِالضَّبْطِ! إِنَّهُ قَادِمٌ لِيَطْرُدَ الصَّيَّادَ مِنْ هُنَا.»

أَخَذَ الْخَيَالُ يَقْتَرِبُ وَيَكْبُرُ، وَتَأَكَّدَ أَنَّهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون دُونَ شَكٍّ. وَفَجْأَةً، اتَّسَعَتْ عَيْنَا بلاكي عَنْ آخِرِهِمَا كَمَا لَوْ كَانَتَا سَتَثِبَانِ مِنْ رَأْسِهِ. فَقَدِ اكْتَشَفَ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون يَحْمِلُ شَيْئًا، وَهَذَا الشَّيْءُ كَانَ بُنْدُقِيَّةً! نَعَمْ، كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةً رَهِيبَةً! لَوْ كَانَ بلاكي قَادِرًا عَلَى فَرْكِ عَيْنَيْهِ، لَفَعَلَ، حَتَّى يَتَأَكَّدَ مِنْ سَلَامَتِهِمَا.

صَاحَ بلاكي: «بُنْدُقِيَّةٌ! ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةً رَهِيبَةً! مَاذَا يَعْنِي ذَلِكَ؟»

اقْتَرَبَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون أَكْثَرَ، فَصَارَ بِإِمْكَانِ بلاكي رُؤْيَةُ الْبُنْدُقِيَّةِ الرَّهِيبَةِ بِوُضُوحٍ. وَفَجْأَةً طَرَأَتْ عَلَى ذِهْنِهِ فِكْرَةٌ: «رُبَّمَا يَكُونُ ذَاهِبًا لِإِطْلَاقِ النَّارِ عَلَى الصَّيَّادِ!» وَحِينَهَا شَعَرَ بِبَعْضِ الِارْتِيَاحِ.

وَصَلَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون إِلَى نُقْطَةٍ غَيْرِ بَعِيدَةٍ عَنِ الْمَخْبَأِ الَّذِي بَنَاهُ الصَّيَّادُ، وَوَضَعَ بُنْدُقِيَّتَهُ عَلَى ضِفَّةِ النَّهْرِ وَنَزَلَ إِلَى حَافَةِ الْمَاءِ. كَانَتْ نَبَاتَاتُ السَّمَّارِ تَنْمُو بِكَثَافَةٍ فِي تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ، وَظَلَّ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون مَشْغُولًا فَتْرَةً بَيْنَهَا. كَانَ بِإِمْكَانِ بلاكي رُؤْيَتُهُ مِنْ مَوْقِعِهِ، وَإِذْ أَخَذَ يُرَاقِبُهُ، كَانَتْ حَيْرَتُهُ فِي ازْدِيَادٍ. بَدَا الْأَمْرُ كَمَا لَوْ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون يَبْنِي مَخْبَأً كَمَخْبَأِ الصَّيَّادِ تَمَامًا. وَفِي النِّهَايَةِ أَخَذَ قِطْعَةَ خَشَبٍ قَدِيمَةً إِلَى هُنَاكَ، وَأَحْضَرَ بُنْدُقِيَّتَهُ وَجَلَسَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ كَمَا فَعَلَ الصَّيَّادُ فِي مَخْبَئِهِ عَصْرَ الْيَوْمِ السَّابِقِ. كَانَ مِنَ الصَّعْبِ رُؤْيَتُهُ وَهُوَ فِي هَذَا الْمَخْبَأِ، إِلَّا مِنْ مَكَانٍ عَالٍ كَمَكَانِ بلاكي.

شَهَقَ بلاكي وَقَالَ: «أَنَا ... أَنَا ... أَنَا أَظُنُّهُ سَيُطْلِقُ النَّارَ عَلَى الْبَطِّ بِنَفْسِهِ! لَمْ أَكُنْ لِأُصَدِّقَ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ. لَا لَمْ أَكُنْ لِأُصَدِّقَ. أَنَا ... أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُصَدِّقَ ذَلِكَ الْآنَ. ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَصْطَادُ بِبُنْدُقِيَّةٍ رَهِيبَةٍ! وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ أُصَدِّقَ عَيْنَيَّ.»

لَفَتَتِ انْتِبَاهَهُ ضَوْضَاءُ صَادِرَةٌ مِنْ أَعْلَى النَّهْرِ، كَانَتْ ضَوْضَاءَ سَبَبُهَا مِجْدَافَا قَارِبٍ، وَكَانَ فِيهِ صَيَّادٌ يُجَدِّفُ بِقَارِبِهِ فِي النَّهْرِ الْكَبِيرِ، وَتَمَامًا كَمَا فَعَلَ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ، تَرَجَّلَ عَلَى الشَّاطِئِ عِنْدَ الْمَخْبَأِ وَنَزَلَ إِلَيْهِ مَشْيًا.

تَمْتَمَ بلاكي: «هَذَا الْمَكَانُ لَيْسَ مُنَاسِبًا لِي؛ فَسَوْفَ يَتَذَكَّرُ أَنِّي أَخَفْتُ الْبَطَّ الْبَارِحَةَ، وَعَلَى الْأَغْلَبِ سَيُحَاوِلُ إِصَابَتِي.»

بَسَطَ بلاكي جَنَاحَيْهِ الْأَسْوَدَيْنِ وَطَارَ مِنْ عَلَى قِمَّةِ الشَّجَرَةِ سَرِيعًا، وَتَوَجَّهَ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى وَرَاءَهَا بِمَسَافَةٍ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ حَيْثُ سَيَكُونُ بِأَمَانٍ أَكْبَرَ، وَلَكِنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَرَى أَيْضًا. فَجَلَسَ هُنَاكَ حَتَّى نَبَّهَتْهُ الظِّلَالُ السَّوْدَاءُ إِلَى أَنَّهُ قَدْ حَانَ وَقْتُ الْعَوْدَةِ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ.

كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُسْرِعَ؛ فَقَدْ تَأَخَّرَ عَنِ الْمُعْتَادِ، وَكَانَ خَائِفًا مِنَ الْبَقَاءِ خَارِجَ الْمَنْزِلِ بَعْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ. وَبِمُجَرَّدِ أَنْ وَصَلَ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، سَمِعَ صَوْتَ إِطْلَاقِ نِيرَانٍ خَافِتًا

مِنْ نَاحِيَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ صَادِرٌ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَبِئُ فِيهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ.

صَرَخَ بلاكي: «إِنَّهَا الْحَقِيقَةُ إِذَنْ! لَقَدْ تَحَوَّلَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون إِلَى صَيَّادٍ.» كَانَتْ صَدْمَةً شَدِيدَةً عَلَى بلاكي حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَنَمْ إِلَّا بَعْدَ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ.

الفصل السادس والعشرون

لِماذَا لَمْ يَصْطَدِ الصَّيَّادُ أَيَّ بَطَّاتٍ؟

رَأَى الصَّيَّادُ الَّذِي جَاءَ عَنْ طَرِيقِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ فِي قَارِبٍ وَرَسَا بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ داسكي وَسِرْبُهُ يَجِدُونَ فِيهِ الذُّرَةَ الصَّفْرَاءَ اللَّذِيذَةَ مَنْثُورَةً بَيْنَ النَّبَاتَاتِ لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ؛ الْغُرَابَ بلاكي يُغَادِرُ قِمَّةَ إِحْدَى الْأَشْجَارِ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ مِنَ الْمَكَانِ.

قَالَ الصَّيَّادُ: «خَيْرٌ لَكَ أَنَّكَ لَمْ تَنْتَظِرِ اقْتِرَابِي أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. فَأَنْتَ ذَكِيٌّ بِمَا يَكْفِي لِأَنْ تَعْرِفَ أَنَّكَ لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَخْدَعَنِي الْخُدْعَةَ نَفْسَهَا مَرَّتَيْنِ. لَقَدْ أَخَفْتَ الْبَطَّ اللَّيْلَةَ الْبَارِحَةَ، وَلَكِنْ إِذَا حَاوَلْتَ ذَلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَسَوْفَ أُطْلِقُ عَلَيْكَ النَّارَ دُونَ تَرَدُّدٍ.»

ثُمَّ ذَهَبَ الصَّيَّادُ إِلَى الْمَخْبَأِ الَّذِي بَنَاهُ مِنَ الشُّجَيْرَاتِ وَنَبَاتَاتِ السَّمَّارِ، وَرَبَضَ خَلْفَهُ حَامِلًا بُنْدُقِيَّتَهُ الرَّهِيبَةَ، مُنْتَظِرًا وَمُتَرَقِّبًا وُصُولَ داسكي وَسِرْبِهِ.

تَذْكُرُونَ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون كَانَ مُخْتَبِئًا آنَذَاكَ عَلَى مَسَافَةٍ أَبْعَدَ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، فِي الْمَخْبَأِ الَّذِي بَنَاهُ عَصْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَلَمْ يَرَهُ الصَّيَّادُ مُطْلَقًا. لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ أَدْنَى فِكْرَةٍ عَنْ وُجُودِ شَخْصٍ آخَرَ فِي الْجِوَارِ. فَكَّرَ الصَّيَّادُ قَائِلًا: «أَمَا وَقَدْ تَخَلَّصْتُ مِنْ ذَلِكَ الْغُرَابِ، أَعْتَقِدُ أَنَّنِي سَأَصْطَادُ بَعْضَ الْبَطِّ اللَّيْلَةَ.» وَنَظَرَ إِلَى بُنْدُقِيَّتِهِ لِلتَّأَكُّدِ مِنْ أَنَّهَا جَاهِزَةٌ.

فِي الْغَرْبِ، كَانَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ الْمَرِحُ قَدِ اسْتَعَدَّ لِلذَّهَابِ إِلَى النَّوْمِ خَلْفَ التِّلَالِ الْأُرْجُوَانِيَّةِ، وَبَدَأَتِ الظِّلَالُ السَّوْدَاءُ تَزْحَفُ عَلَى الْأَنْحَاءِ. وَمِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ أَسْفَلَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، رَأَى الصَّيَّادُ خَطًّا أَسْوَدَ يَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ مُبَاشَرَةً، فَتَمْتَمَ قَائِلًا: «هَا هُوَ قَادِمٌ!» بَيْنَمَا رَاحَ يُرَاقِبُ اقْتِرَابَ هَذَا الْخَطِّ الْأَسْوَدِ بِلَهْفَةٍ.

دَارَتِ الْبَطَّاتُ السَّوْدَاءُ مَرَّتَيْنِ فَوْقَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ فِي الْجِهَةِ الْمُقَابِلَةِ لِلْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يَرْبِضُ فِيهِ الصَّيَّادُ فِي مَخْبَئِهِ. كَانَ وَاضِحًا أَنَّ قَائِدَهَا داسكي تَذَكَّرَ تَحْذِيرَ بلاكي فِي

اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ. وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ تَحْذِيرٌ هَذِهِ الْمَرَّةَ. وَبَدَا كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ. دَارَ السِّرْبُ مَرَّةً أُخْرَى ثُمَّ تَوَجَّهَ مُبَاشَرَةً نَحْوَ الْمَكَانِ الَّذِي يَأْمُلُ أَنْ يَجِدَ فِيهِ الْمَزِيدَ مِنْ حُبُوبِ الذُّرَةِ. فَانْحَنَى الصَّيَّادُ لِأَسْفَلَ أَكْثَرَ. كَادَ السِّرْبُ يَكُونُ فِي مَرْمَى نِيرَانِ بُنْدُقِيَّتِهِ عِنْدَمَا دَوَّى صَوْتُ إِطْلَاقِ نِيرَانٍ عَلَى مَقْرُبَةٍ.

عَلَى الْفَوْرِ اسْتَدَارَ داسكي وَالسِّرْبُ وَرَفْرَفُوا بِأَجْنِحَتِهِمْ بِسُرْعَةٍ مُحَلِّقِينَ نَاحِيَةَ أَعْلَى النَّهْرِ. شَعَرَ الصَّيَّادُ بِإِحْبَاطٍ بَالِغٍ. وَتَمْتَمَ قَائِلًا: «ثَمَّةَ صَيَّادٌ آخَرُ، وَقَدْ أَضَاعَ عَلَيَّ فُرْصَتِي هَذِهِ الْمَرَّةَ. لَا بُدَّ أَنَّ لَدَيْهِ مَخْبأً بِالْقُرْبِ مِنْ هُنَا. وَرُبَّمَا أَتَى إِلَيْهِ بَعْضُ الْبَطِّ وَلَمْ أَرَهُ. يَا تُرَى هَلِ اصْطَادَهُ؟ آمُلُ أَنْ يَأْتِيَ هَذَا السِّرْبُ إِلَى هُنَا أَوَّلًا فِي الْمَرَّةِ الْمُقْبِلَةِ.»

عَادَ الصَّيَّادُ إِلَى وَضْعِهِ السَّابِقِ مَرَّةً أُخْرَى، وَاسْتَقَرَّ فِي مَكَانِهِ اسْتِعْدَادًا لِفَتْرَةِ انْتِظَارٍ طَوِيلَةٍ. تَسَلَّلَتِ الظِّلَالُ السَّوْدَاءُ مِنَ الضِّفَّةِ الْبَعِيدَةِ لِلنَّهْرِ الْكَبِيرِ؛ فَقَدْ كَانَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ الْمَرِحُ قَدْ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، وَسَطَعَتْ أَوَّلُ نَجْمَةٍ صَغِيرَةٍ عَالِيَةً فِي السَّمَاءِ. كَانَ الْمَكَانُ سَاكِنًا وَهَادِئًا. ثُمَّ جَاءَ صَوْتُ بَطَّةٍ خَفِيضٌ مِنْ وَسْطِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ؛ فَقَدْ كَانَ داسكي وَسِرْبُهُ آتِينَ سِبَاحَةً آنَذَاكَ. وَسُرْعَانَ مَا اسْتَطَاعَ الصَّيَّادُ رُؤْيَةَ خَطٍّ فِضِّيٍّ عَلَى الْمَاءِ، وَبَعْدَهَا مَيَّزَ تِسْعَ بُقَعٍ سَوْدَاءَ. وَفِي غُضُونِ دَقَائِقَ قَلِيلَةٍ، كَادَتْ تِلْكَ الْبَطَّاتُ تَصِيرُ فِي مَرْمَى نِيرَانِ بُنْدُقِيَّتِهِ.

دَوَّى صَوْتُ إِطْلَاقِ النَّارِ مَرَّةً أُخْرَى مِنَ الْبُنْدُقِيَّةِ الْقَرِيبَةِ مِنْهُ، فَرَفْرَفَ داسكي وَسِرْبُهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ فِي صَخَبٍ وَطَارُوا بَعِيدًا. وَقَفَ الصَّيَّادُ وَقَالَ شَيْئًا؛ شَيْئًا غَيْرَ مُهَذَّبٍ. فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الْبَطَّ لَنْ يَعُودَ مَرَّةً أُخْرَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَأَنَّهُ سَيَعُودُ إِلَى الْمَنْزِلِ مَرَّةً أُخْرَى خَالِيَ الْوِفَاضِ. وَلَكِنَّهُ قَرَّرَ أَنْ يَذْهَبَ أَوَّلًا لِمَعْرِفَةِ مَنْ هُوَ الصَّيَّادُ الْآخَرُ وَإِذَا كَانَ قَدْ حَالَفَهُ الْحَظُّ فِي صَيْدِهِ؛ لِذَا مَشَى عَلَى الشَّاطِئِ نَحْوَ الْمَكَانِ الَّذِي بَدَا صَوْتُ الْبُنْدُقِيَّةِ صَادِرًا مِنْهُ، وَوَجَدَ مَخْبَأَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ أَحَدٌ؛ فَقَدِ انْسَلَّ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون مِنْ مَخْبَئِهِ وَغَادَرَ الْمَكَانَ بِمُجَرَّدِ أَنْ أَطْلَقَ النَّارَ مِنْ بُنْدُقِيَّتِهِ آخِرَ مَرَّةٍ. وَبَيْنَمَا كَانَ يَمْشِي عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ إِلَى الْمَنْزِلِ حَامِلًا بُنْدُقِيَّتَهُ، كَانَ يَضْحَكُ قَائِلًا: «لَمْ يَصْطَدْ تِلْكَ الْبَطَّاتِ هَذِهِ الْمَرَّةَ.»

الفصل السابع والعشرون

الصَّيَّادُ يَسْتَسْلِمُ

كَانَ الْغُرَابُ بلاكي فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ. فَلَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ إِقْنَاعَ نَفْسِهِ بِأَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون تَحَوَّلَ إِلَى صَيَّادٍ، وَلَكِنْ مَاذَا كَانَ عَسَاهُ أَنْ يُصَدِّقَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ أَلَمْ يَرَ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون بِأُمِّ عَيْنِهِ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّتَهُ الرَّهِيبَةَ وَيَخْتَبِئُ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ مُنْتَظِرًا وُصُولَ داسكي وَسِرْبِهِ؟ أَلَمْ يَسْمَعْ بِأُذُنَيْهِ صَوْتَ إِطْلَاقِ النَّارِ مِنْ هَذِهِ الْبُنْدُقِيَّةِ؟

كَانَ أَوَّلُ مَا فَعَلَهُ بلاكي صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِي هُوَ الذَّهَابَ مُسْرِعًا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يَخْتَبِئُ فِيهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون بَيْنَ النَّبَاتَاتِ. وَبِنَظَرِهِ الْحَادِّ بَحَثَ عَنِ الرِّيشِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى مَقْتَلِ الْبَطِّ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ رِيشًا. لَمْ يَجِدْ أَيَّ شَيْءٍ يَدُلُّ عَلَى حُدُوثِ مِثْلِ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُخِيفِ. رُبَّمَا لَمْ يُصِبِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون هَدَفَهُ عِنْدَمَا أَطْلَقَ النِّيرَانَ عَلَى الْبَطِّ. هَزَّ بلاكي رَأْسَهُ وَقَرَّرَ أَلَّا يُخْبِرَ أَحَدًا عَنِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون وَتِلْكَ الْبُنْدُقِيَّةِ الرَّهِيبَةِ.

طَبْعًا جَاءَ بلاكي مُبَكِّرًا عَصْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَاسْتَقَرَّ عَلَى قِمَّةِ شَجَرَتِهِ الْمُفَضَّلَةِ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ. وَخَابَ أَمَلُهُ — مِثْلَمَا حَدَثَ عَصْرَ الْيَوْمِ السَّابِقِ — عِنْدَمَا رَأَى ابْنَ الْمُزَارِعِ براون يَمْشِي حَامِلًا بُنْدُقِيَّتَهُ الرَّهِيبَةَ عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ مُتَوَجِّهًا إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ. وَعِوَضًا عَنِ الذَّهَابِ إِلَى الْمَخْبَأِ نَفْسِهِ، بَنَى مَخْبَأً جَدِيدًا بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ.

ثُمَّ جَاءَ الصَّيَّادُ مُبَكِّرًا قَلِيلًا عَنِ الْمُعْتَادِ، وَعِوَضًا عَنِ التَّوَقُّفِ عِنْدَ مَخْبَئِهِ، وَاصَلَ الْمَشْيَ مُبَاشَرَةً نَحْوَ الْمَخْبَأِ الَّذِي بَنَاهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون، وَطَبْعًا لَمْ يَجِدْ أَحَدًا هُنَاكَ. بَدَا الصَّيَّادُ مَسْرُورًا وَمُحْبَطًا فِي نَفْسِ الْوَقْتِ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى مَخْبَئِهِ وَجَلَسَ. وَبَيْنَمَا كَانَ

يَرْقُبُ قُدُومَ الْبَطِّ، أَخَذَ يُرَاقِبُ الْمَخْبَأَ الْآخَرَ أَيْضًا لِيَرَى مَا إِذَا كَانَ صَيَّادُ اللَّيْلَةِ الْبَارِحَةِ الْمَجْهُولُ سَيَظْهَرُ مَرَّةً أُخْرَى. بِالطَّبْعِ لَمْ يَظْهَرْ، وَعِنْدَمَا رَأَى الصَّيَّادُ الْبَطَّ قَادِمًا أَخِيرًا، كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُ سَيَصْطَادُ بَعْضًا مِنْهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ.

لَكِنْ حَدَثَ نَفْسُ مَا حَدَثَ اللَّيْلَةَ السَّابِقَةَ؛ بِمُجَرَّدِ أَنْ أَصْبَحَ الْبَطُّ قَرِيبًا بِمَا يَكْفِي، دَوَّى صَوْتُ إِطْلَاقِ نِيرَانٍ، فَطَارَ الْبَطُّ مُبْتَعِدًا. لَمْ يَعُدِ الْبَطُّ مَرَّةً أُخْرَى، وَعَادَ الصَّيَّادُ خَائِبًا إِلَى مَنْزِلِهِ مَرَّةً أُخْرَى دُونَ اصْطِيَادِ أَيِّ بَطَّاتٍ.

وَعَصْرَ الْيَوْمِ التَّالِي، جَاءَ الصَّيَّادُ مُبَكِّرًا لِلْغَايَةِ. وَصَلَ الصَّيَّادُ قَبْلَ وُصُولِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون، وَعِنْدَمَا أَتَى ابْنُ الْمُزَارِعِ براون، رَآهُ الصَّيَّادُ طَبْعًا، فَمَشَى الصَّيَّادُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَبِئُ فِيهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون بَيْنَ النَّبَاتَاتِ وَقَالَ: «مَرْحَبًا! هَلْ أَنْتَ الشَّخْصُ الَّذِي كَانَ يُطْلِقُ النَّارَ هُنَا اللَّيْلَةَ الْبَارِحَةَ وَاللَّيْلَةَ الَّتِي سَبَقَتْهَا؟»

ابْتَسَمَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون ابْتِسَامَةً عَرِيضَةً وَقَالَ: «نَعَمْ.»

سَأَلَ الصَّيَّادُ: «وَكَيْفَ كَانَ حَظُّكَ؟»

فَرَدَّ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون: «حَسَنًا.»

فَسَأَلَهُ الصَّيَّادُ: «كَمِ اصْطَدْتَ مِنَ الْبَطِّ؟»

ازْدَادَتِ ابْتِسَامَةُ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون اتِّسَاعًا وَرَدَّ قَائِلًا: «لَمْ أَصْطَدْ أَيَّ بَطَّاتٍ. أَعْتَقِدُ أَنَّنِي لَا أُجِيدُ التَّصْوِيبَ.»

فَتَسَاءَلَ الصَّيَّادُ: «مَاذَا تَعْنِي إِذَنْ بِقَوْلِكَ إِنَّ حَظَّكَ كَانَ حَسَنًا؟»

أَجَابَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون: «أُوهْ! كُنْتُ مَحْظُوظًا لِرُؤْيَتِي هَذَا السِّرْبَ مِنَ الْبَطِّ وَاسْتَمْتَعْتُ بِإِطْلَاقِ النَّارِ عَلَيْهِ.» ثُمَّ ابْتَسَمَ مَرَّةً أُخْرَى.

نَفِدَ صَبْرُ الصَّيَّادِ وَحَاوَلَ أَنْ يَأْمُرَ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون بِالِابْتِعَادِ عَنِ الْمَكَانِ، وَلَكِنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون رَدَّ بِأَنَّ لَهُ الْحَقَّ فِي التَّوَاجُدِ هُنَاكَ كَمَا يَحِقُّ لِلصَّيَّادِ، وَكَانَ الصَّيَّادُ يَعْلَمُ ذَلِكَ. وَأَخِيرًا، اسْتَسْلَمَ وَعَادَ إِلَى مَخْبَئِهِ مُتَمْتِمًا فِي غَضَبٍ. وَمَرَّةً أُخْرَى فَزِعَ الْبَطُّ عِنْدَ قُدُومِهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنْ جَرَّاءِ دَوِيِّ بُنْدُقِيَّةِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون، وَوَلَّى مُبْتَعِدًا.

عَصَرَ الْيَوْمِ التَّالِي، لَمْ يَأْتِ الصَّيَّادُ — وَإِنْ كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَدْ أَتَى — وَكَذَلِكَ لَمْ يَأْتِ الْيَوْمَ التَّالِيَ؛ فَقَدْ عَلِمَ الصَّيَّادُ أَنَّ الصَّيْدَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ فِي وُجُودِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون مَضْيَعَةٌ لِلْوَقْتِ.

الفصل الثامن والعشرون

بلاكي يَتَحَاوَرُ مَعَ داسكي

لَا تَشُكَّ فِي صَدِيقٍ، وَلَكِنْ حَتَّى النِّهَايَةِ
تَمَسَّكْ بِثِقَتِكَ فِيهِ، وَاحْفَظْهَا بِعِنَايَةٍ.

الْغُرَابُ بلاكي

كُلَّ صَبَاحٍ، كَانَ الْغُرَابُ بلاكي يَزُورُ مِنْطَقَةَ النَّبَاتَاتِ النَّامِيَةِ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، آمِلًا فِي أَنْ يَجِدَ داسكي. كَانَ بلاكي قَلِقًا؛ إِذْ كَانَ يَخْشَى أَنْ يَكُونَ داسكي أَوْ أَحَدُ أَفْرَادِ سِرْبِهِ قَدْ قُتِلَ، وَأَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ. فَكَمَا تَعْلَمُونَ، كَانَ بلاكي يَعْرِفُ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون أَطْلَقَ النِّيرَانَ فِي تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ. وَأَخِيرًا، فِي وَقْتٍ مُبَكِّرٍ مِنْ صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ، وَجَدَ داسكي وَسِرْبَهُ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ وَالْأُرْزِ الْبَرِّيِّ، فَأَحْصَى عَدَدَهُمْ بِلَهْفَةٍ. كَانُوا تِسْعَةً؛ أَيْ إِنَّهُمْ لَمْ يَنْقُصُوا أَحَدًا. تَنَهَّدَ بلاكي بِارْتِيَاحٍ وَهَبَطَ عَلَى الشَّاطِئِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ داسكي غَافِيًا فِيهِ.

قَالَ بلاكي: «مَرْحَبًا!»

أَفَاقَ داسكي مَذْعُورًا: «مَرْحَبًا بِكَ!»

قَالَ بلاكي: «لَقَدْ سَمِعْتُ دَوِيَّ بُنْدُقِيَّةٍ رَهِيبَةٍ هُنَا، وَخِفْتُ أَنْ تَكُونَ قَدْ أُصِبْتَ أَنْتَ أَوْ أَحَدُ أَفْرَادِ سِرْبِكَ.»

فَرَدَّ داسكي: «إِنَّنَا لَمْ نَفْقِدْ حَتَّى رِيشَةً وَاحِدَةً. وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ، هَذِهِ الْبُنْدُقِيَّةُ لَمْ تَكُنْ مُصَوَّبَةً نَحْوَنَا.»

سَأَلَهُ بلاكي: «إِلَى مَنْ كَانَتْ مُصَوَّبَةً إِذَنْ؟»

فَأَجَابَ داسكي: «لَيْسَ لَدَيَّ أَدْنَى فِكْرَةٍ.»

تَسَاءَلَ بلاكي: «هَلْ رَأَيْتَ أَيَّ بَطٍّ آخَرَ فِي الْجِوَارِ؟»

فَرَدَّ داسكي سَرِيعًا: «مُطْلَقًا. إِذَا كَانَ ثَمَّةَ بَطٌّ آخَرُ هُنَا، كُنَّا سَنَعْرِفُ.»

فَسَأَلَهُ بلاكي: «هَلْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ عِنْدَمَا أُطْلِقَتْ نِيرَانُ هَذِهِ الْبُنْدُقِيَّةِ الرَّهِيبَةِ كَانَتْ تُوجَدُ بُنْدُقِيَّةٌ رَهِيبَةٌ أُخْرَى خَلْفَ هَذِهِ الشُّجَيْرَاتِ مُبَاشَرَةً؟»

هَزَّ داسكي رَأْسَهُ نَافِيًا وَقَالَ: «لَا، وَلَكِنِّي تَعَلَّمْتُ مُنْذُ زَمَنٍ أَنَّهُ أَيْنَمَا تُوجَدُ بُنْدُقِيَّةٌ رَهِيبَةٌ، فَعَلَى الْأَغْلَبِ سَيَكُونُ ثَمَّةَ بَنَادِقُ أُخْرَى؛ وَلِذَا فَإِنَّنِي عِنْدَمَا سَمِعْتُ دَوِيَّ تِلْكَ الْبُنْدُقِيَّةِ، قُدْتُ سِرْبِي بَعِيدًا عَنْ هَذَا الْمَكَانِ بِسُرْعَةٍ. فَلَمْ نَرْغَبْ فِي الْمُخَاطَرَةِ.»

رَدَّ بلاكي قَائِلًا: «مِنْ حُسْنِ الْحَظِّ أَنَّكَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ كَانَ ثَمَّةَ صَيَّادٌ يَخْتَبِئُ خَلْفَ هَذِهِ الشُّجَيْرَاتِ طَوَالَ الْوَقْتِ. لَقَدْ حَذَّرْتُكَ مِنْهُ مَرَّةً.»

قَالَ داسكي: «هَذَا يُذَكِّرُنِي بِأَنِّي لَمْ أَشْكُرْكَ. كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ شَيْئًا مَا لَيْسَ عَلَى مَا يُرَامُ، وَلَكِنِّي لَمْ أَعْرِفْ مَا هُوَ؛ إِذَنْ، كَانَ صَيَّادًا. أَظُنُّنِي أَحْسَنْتُ إِذِ انْتَبَهْتُ لِتَحْذِيرِكَ.»

فَرَدَّ بلاكي بِنَبْرَةٍ جَافَّةٍ: «أَظُنُّ ذَلِكَ. هَلْ صِرْتَ تَأْتِي إِلَى هُنَا فِي النَّهَارِ عِوَضًا عَنِ الْمَجِيءِ لَيْلًا؟»

رَدَّ داسكي: «لَا، إِنَّنَا نَأْتِي بَعْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ وَنَقْضِي اللَّيْلَ هُنَا، فَنَحْنُ لَا نَخَافُ الصَّيَّادِينَ بَعْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ. وَصِرْنَا لَا نَأْتِي إِلَى هُنَا حَتَّى وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنَ الْمَسَاءِ. وَمُنْذُئِذٍ لَمْ نَسْمَعْ صَوْتَ أَيِّ بُنْدُقِيَّةٍ.»

ظَلَّ بلاكي يَتَجَاذَبُ مَعَهُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ قَلِيلًا، ثُمَّ طَارَ لِلْبَحْثِ عَنْ طَعَامِ الْإِفْطَارِ، وَأَثْنَاءَ طَيَرَانِهِ شَعَرَ بِالْبَهْجَةِ تَغْمُرُهُ، وَلَمَعَتْ عَيْنَاهُ الصَّغِيرَتَانِ الْفَطِنَتَانِ.

وَفَكَّرَ قَائِلًا: «مِنَ الْمُفْتَرَضِ أَنْ تَمْنَعَنِي مَعْرِفَتِي الْجَيِّدَةُ بِابْنِ الْمُزَارِعِ براون مِنْ مُجَرَّدِ الشَّكِّ فِيهِ. أَعْرِفُ الْآنَ لِمَاذَا كَانَ يَحْمِلُ تِلْكَ الْبُنْدُقِيَّةَ الرَّهِيبَةَ. كَانَتْ مِنْ أَجْلِ إِخَافَةِ هَذَا السِّرْبِ مِنَ الْبَطِّ حَتَّى يَبْتَعِدَ وَلَا يَحْظَى الصَّيَّادُ بِفُرْصَةِ اصْطِيَادِ أَيٍّ مِنْهُ. لَمْ يَكُنْ يُصَوِّبُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ. كَانَ يُطْلِقُ النَّارَ فِي الْهَوَاءِ فَقَطْ مِنْ أَجْلِ إِبْعَادِ الْبَطِّ. أَعْرِفُ ذَلِكَ تَمَامَ الْمَعْرِفَةِ كَمَا لَوْ كُنْتُ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُهُ. لَنْ أَشُكَّ فِي ابْنِ الْمُزَارِعِ براون ثَانِيَةً. وَأَنَا مَسْرُورٌ لِأَنِّي لَمْ أَقُلْ لِأَحَدٍ شَيْئًا عَنْ رُؤْيَتِي لَهُ حَامِلًا بُنْدُقِيَّتَهُ الرَّهِيبَةَ.»

كَانَ بلاكي مُحِقًّا؛ فَقَدْ فَعَلَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون ذَلِكَ حَتَّى يَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ الصَّيَّادَ — الَّذِي اسْتَدْرَجَ الْبَطَّ أَوَّلًا بِالذُّرَةِ الصَّفْرَاءِ الْمَنْثُورَةِ وَسْطَ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ أَمَامَ مَخْبَئِهِ — لَنْ تَتَوَفَّرَ لَهُ فُرْصَةُ قَتْلِ أَيٍّ مِنْهُمْ. وَفِي حِينِ أَنَّهُ بَدَا عَدُوًّا، كَانَ فِي الْوَاقِعِ صَدِيقًا لِداسكي وَسِرْبِهِ.

الفصل التاسع والعشرون

بلاكي يَجِدُ بَيْضَةً

إِنَّ بلاكي مُولَعٌ بِالْبَيْضِ كَمَا تَعْلَمُونَ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يُشْبِهُ غَيْرَهُ مِنَ الْأَشْخَاصِ — مِثْلَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون — إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ. وَلَكِنْ بِمَا أَنَّ بلاكي لَا يَسْتَطِيعُ تَرْبِيَةَ الدَّجَاجِ — كَمَا يَفْعَلُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون — فَإِنَّهُ مُجْبَرٌ عَلَى سَرِقَةِ الْبَيْضِ أَوِ الْعَيْشِ دُونَهُ. وَإِذَا أَرَدْتَ الْحَقِيقَةَ الْوَاضِحَةَ، أَعْتَقِدُ أَنَّ بلاكي لَيْسَ مُخْطِئًا كَثِيرًا عِنْدَمَا يُصِرُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لِصًّا، مِثْلَمَا أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون لَيْسَ لِصًّا. فَبلاكي يَقُولُ إِنَّ الْبَيْضَ الَّذِي تَبِيضُهُ الدَّجَاجَاتُ يَخُصُّ الدَّجَاجَاتِ، وَإِنَّهُ هُوَ — بلاكي — لَهُ نَفْسُ الْحَقِّ فِي أَخْذِ الْبَيْضِ كَابْنِ الْمُزَارِعِ براون. وَلَكِنَّهُ يَغْفُلُ تَمَامًا عَنْ حَقِيقَةِ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون يُطْعِمُ الدَّجَاجَ وَيَأْخُذُ الْبَيْضَ فِي الْمُقَابِلِ. وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ، فَإِنَّ هَذَا هُوَ مَا يَقُولُهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون، وَلَكِنِّي لَا أَعْلَمُ مَا إِذَا كَانَتِ الدَّجَاجَاتُ تَرَى الْأَمْرَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ أَمْ لَا.

لِذَلِكَ لَا يَفْهَمُ الْغُرَابُ بلاكي لِمَاذَا يَنْبَغِي لَهُ أَلَّا يَسْرِقَ بَيْضَةً عِنْدَمَا تُتَاحُ لَهُ الْفُرْصَةُ. فَهُوَ لَا يَحْظَى بِفُرَصٍ كَثِيرَةٍ لِسَرِقَةِ الْبَيْضِ مِنَ الدَّجَاجَاتِ؛ لِأَنَّهَا تَضَعُ بَيْضَهَا عَادَةً فِي حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ. وَبلاكي يَمْنَعُهُ حَذَرُهُ مِنَ الْمُخَاطَرَةِ بِالدُّخُولِ إِلَى الْحَظِيرَةِ. فَالْبَيْضُ الَّذِي يَحْصُلُ عَلَيْهِ غَالِبًا مَا يَكُونُ بَيْضَ جِيرَانِهِ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ أَوِ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ. وَلَكِنْ فِي بَعْضِ أَحْيَانٍ نَادِرَةٍ تَبْنِي بَعْضُ الدَّجَاجَاتِ الْحَمْقَاءِ عُشًّا خَارِجَ الْحَظِيرَةِ، وَإِذَا صَادَفَ أَنْ رَآهَا بلاكي، فَإِنَّ ذَلِكَ الْوَغْدَ الْأَسْوَدَ يَظَلُّ يَتَرَقَّبُ — فِي كُلِّ لَحْظَةٍ لَا يَنْشَغِلُ فِيهَا بِحِيلَةٍ أُخْرَى — فُرْصَةً لِسَرِقَةِ بَيْضَةٍ.

يَعْلَمُ بلاكي أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون يَرَاهُ وَغْدًا؛ وَلِهَذَا فَإِنَّ بلاكي يَحْذَرُ الِاقْتِرَابَ مِنَ الْمُزَارِعِ براون أَوْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ حَتَّى يَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ أَحَدًا لَنْ يُطْلِقَ عَلَيْهِ النَّارَ. فَبلاكي يَعْرِفُ تَمَامَ الْمَعْرِفَةِ شَكْلَ الْبُنْدُقِيَّةِ. وَيَعْرِفُ أَيْضًا أَنَّهُ دُونَ الْبُنْدُقِيَّةِ الرَّهِيبَةِ، لَا يُوجَدُ الْكَثِيرُ مِمَّا يُمْكِنُ لِلْمُزَارِعِ براون أَوْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ أَنْ يَفْعَلَهُ بِهِ؛ لِذَا فَإِنَّهُ عِنْدَمَا يَرَى الْمُزَارِعَ براون وَسْطَ حُقُولِهِ، كَثِيرًا مَا يَطِيرُ فَوْقَهُ وَيَصِيحُ: «كَاوْ كَاوْ كَاوْ كَاااوْ!» بِأَكْثَرِ طَرِيقَةٍ مُسْتَفِزَّةٍ، وَيُصِرُّ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون عَلَى أَنَّهُ رَأَى بلاكي يَغْمِزُ بِعَيْنِهِ حِينَهَا.

وَلَكِنَّ بلاكي لَا يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ بِالْقُرْبِ مِنْ مَبَانِي الْمُزَارِعِ براون؛ فَقَدْ تَعَلَّمَ أَنَّ الْمَبَانِيَ بِهَا أَبْوَابٌ وَنَوَافِذُ، وَيُمْكِنُ إِطْلَاقُ بُنْدُقِيَّةٍ رَهِيبَةٍ مِنْ أَحَدِهَا فِي أَيِّ لَحْظَةٍ. وَرَغْمَ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون لَنْ يُحَاوِلَ إِيذَاءَهُ، فَإِنَّ بلاكي حَذِرٌ بِطَبْعِهِ وَلَا يَمِيلُ إِلَى الْمُخَاطَرَةِ؛ لِذَا فَإِنَّهُ عِنْدَمَا يَأْتِي لِلتَّجَسُّسِ حَوْلَ مَنْزِلِ الْمُزَارِعِ براون وَمَخْزَنِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ عِنْدَمَا يَكُونُ مُتَأَكِّدًا تَمَامًا مِنْ عَدَمِ وُجُودِ أَحَدٍ، وَيَفْعَلُ ذَلِكَ بِكُلِّ هُدُوءٍ. أَوَّلًا يَجْلِسُ عَلَى شَجَرَةٍ طَوِيلَةٍ يُمْكِنُهُ مُرَاقَبَةُ مَنْزِلِ الْمُزَارِعِ براون مِنْهَا، وَعِنْدَمَا يَتَأَكَّدُ تَمَامًا مِنْ خُلُوِّ الطَّرِيقِ، يَطِيرُ إِلَى الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ، وَمِنْ هُنَاكَ يَفْحَصُ مَخْزَنَ الْحُبُوبِ، دُونَ أَنْ يُصْدِرَ أَيَّ صَوْتٍ. وَإِذَا تَأَكَّدَ مِنْ خُلُوِّ الْمَكَانِ، يَنْزِلُ أَحْيَانًا فِي حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ لِيَتَنَاوَلَ الذُّرَةَ، إِذَا صَادَفَ أَنْ وَجَدَ أَيًّا مِنْهَا هُنَاكَ.

وَفِي إِحْدَى تِلْكَ الزِّيَارَاتِ الصَّامِتَةِ، اكْتَشَفَ بلاكي شَيْئًا لَمْ يَسْتَطِعْ نِسْيَانَهُ. كَانَ صُنْدُوقًا دَاخِلَ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ بِجِوَارِ الْبَابِ. وَكَانَ فِي الصُّنْدُوقِ بَعْضُ الْقَشِّ، وَوَسْطَ هَذَا الْقَشِّ كَانَ بلاكي مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُ رَأَى بَيْضَةً. فِي الْحَقِيقَةِ، كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُ رَأَى بَيْضَتَيْنِ هُنَاكَ. رُبَّمَا لَمْ يَكُنْ لِيُلَاحِظَهُمَا لَوْلَا أَنَّ دَجَاجَةً قَفَزَتْ مِنْ دَاخِلِ الصُّنْدُوقِ مُصْدِرَةً ضَجِيجًا عَالِيًا. لَمْ تَبْدُ خَائِفَةً، وَإِنَّمَا بَدَتْ فَخُورَةً لِلْغَايَةِ. لَمْ يَسْتَطِعْ بلاكي أَنْ يَفْهَمَ مَا هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ تَفْخَرَ بِهِ هَكَذَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْتَظِرْ حَتَّى يَعْرِفَ؛ فَقَدْ أَصَابَتْهُ الضَّوْضَاءُ الَّتِي أَحْدَثَتْهَا بِالتَّوَتُّرِ. كَانَ يَخْشَى أَنْ تَأْتِيَ تِلْكَ الضَّوْضَاءُ بِأَحَدٍ لِيَعْرِفَ مَا الْأَمْرُ؛ لِذَا بَسَطَ جَنَاحَيْهِ الْأَسْوَدَيْنِ وَطَارَ بَعِيدًا بِهُدُوءٍ كَمَا جَاءَ بِهُدُوءٍ.

وَبَيْنَمَا كَانَ يَطِيرُ، رَأَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، فَحِينَمَا كَانَ يَرْتَفِعُ فِي الْهَوَاءِ، اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُرَّ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ بِطَرِيقَةٍ مَكَّنَتْهُ مِنْ إِلْقَاءِ نَظْرَةٍ خَاطِفَةٍ دَاخِلَ الصُّنْدُوقِ،

وَكَانَتْ هَذِهِ النَّظْرَةُ الْخَاطِفَةُ كَافِيَةً. فَكَمَا تَعْلَمُونَ، إِنَّ عَيْنَيْ بلاكي ثَاقِبَتَانِ. فَقَدْ رَأَى الْقَشَّ فِي الصُّنْدُوقِ وَرَأَى الْبَيْضَتَيْنِ وَسْطَ الْقَشِّ، وَكَانَ هَذَا كَافِيًا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ. وَمُنْذُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ بَدَأَ الْغُرَابُ بلاكي فِي التَّدْبِيرِ وَالتَّخْطِيطِ لِلْحُصُولِ عَلَى بَيْضَةٍ مِنْهُمَا أَوْ الِاثْنَتَيْنِ مَعًا. وَبَدَا لَهُ أَنَّهُ لَمْ يَرْغَبْ فِي شَيْءٍ مِنْ قَبْلُ مِثْلَ رَغْبَتِهِ فِي هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، وَكَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ — وَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَكُونَ — سَعِيدًا حَتَّى يَنْجَحَ فِي الْحُصُولِ عَلَى وَاحِدَةٍ.

الفصل الثلاثون

بلاكي يَسْتَجْمِعُ شَجَاعَتَهُ

«الْبَعِيدُ عَنِ الْعَيْنِ بَعِيدٌ عَنِ الْقَلْبِ.» هَذَا قَوْلٌ تَسْمَعُهُ كَثِيرًا. رُبَّمَا يَكُونَ سَلِيمًا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَلَكِنْ فِي أَحْيَانٍ أُخْرَى يَصِيرُ أَبْعَدَ مَا يَكُونُ عَنِ الْحَقِيقَةِ، كَمَا فِي حَالَةِ بلاكي؛ فَقَدْ أَلْقَى نَظْرَةً وَاحِدَةً خَاطِفَةً عَلَى ذَلِكَ الْعُشِّ بِجِوَارِ الْبَابِ فِي حَظِيرَةِ دَجَاجِ الْمُزَارِعِ براون، وَلَكِنَّ تِلْكَ النَّظْرَةَ الْخَاطِفَةَ كَانَتْ كَافِيَةً لِيَرَى أَنَّهُ ثَمَّةَ بَيْضَتَانِ فِي الْعُشِّ. ثُمَّ عِنْدَمَا طَارَ نَحْوَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، كَانَتْ هَاتَانِ الْبَيْضَتَانِ بَعِيدَتَيْنِ عَنْ نَظَرِهِ بِالطَّبْعِ، وَلَكِنْ هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّهُمَا كَانَتَا بَعِيدَتَيْنِ عَنْ فِكْرِهِ؟ لَيْسَ كَثِيرًا! بَلْ أَبَدًا! فَالْحَقِيقَةُ أَنَّ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ كَانَتَا تُلِحَّانِ عَلَى فِكْرِ بلاكي. وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُفَكِّرَ فِي أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ. فَطَارَ مُبَاشَرَةً إِلَى شَجَرَةِ صَنَوْبَرٍ عَالِيَةٍ فِي مَكَانٍ مُنْعَزِلٍ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. فَحِينَمَا يَرْغَبُ بلاكي فِي التَّفْكِيرِ أَوْ تَدْبِيرِ حِيلَةٍ، يَذْهَبُ إِلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ دُونَ غَيْرِهَا، وَيَتَوَارَى بَيْنَ فُرُوعِهَا الْكَبِيرَةِ عَنِ الْعُيُونِ الْفُضُولِيَّةِ، وَيَجْلِسُ فِيهَا بِلَا حَرَاكٍ تَقْرِيبًا.

تَمْتَمَ بلاكي قَائِلًا: «أُرِيدُ وَاحِدَةً مِنْ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ.» بَيْنَمَا كَانَ يَعْتَدِلُ فِي جِلْسَتِهِ عَلَى جُزْءٍ مُعَيَّنٍ عَلَى فَرْعٍ بِعَيْنِهِ مِنْ شَجَرَةِ الصَّنَوْبَرِ الْعَالِيَةِ. وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ يُمْكِنُ تَسْمِيَةُ هَذَا الْفَرْعِ بِاسْمِ «فَرْعِ الْحِيَلِ»؛ فَقَدْ فَكَّرَ بلاكي فِي حِيَلِهِ الشَّهِيرَةِ جَمِيعًا وَدَبَّرَهَا عَلَى فَرْعِ الشَّجَرَةِ ذَاكَ. وَوَاصَلَ حَدِيثَهُ قَائِلًا: «أَجَلْ، أُرِيدُ وَاحِدَةً مِنْ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، وَالْأَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ أَنِّي سَوْفَ أَحْصُلُ عَلَيْهَا.»

وَضَيَّقَ عَيْنَيْهِ وَدَفَعَ رَأْسَهُ لِلْخَلْفِ وَابْتَلَعَ رِيقَهُ بِضْعَ مَرَّاتٍ، كَمَا لَوْ كَانَ قَدْ تَذَوَّقَ وَاحِدَةً مِنْهُمَا بِالْفِعْلِ.

«إِنَّ الْبَيْضَةَ الْوَاحِدَةَ مِنْ تِلْكَ تُسَاوِي عُشًّا مَلِيئًا بِبَيْضِ عُصْفُورِ أَبِي الْحِنَّاءِ الْوَدُودِ. لَمْ يُحَالِفْنِي الْحَظُّ بِتَذَوُّقِ بَيْضَةِ دَجَاجَةٍ مُنْذُ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، وَهَذِهِ هِيَ فُرْصَتِي. أَنَا لَا أُحِبُّ دُخُولَ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ تِلْكَ، رَغْمَ أَنَّ الْعُشَّ بِجِوَارِ الْبَابِ مُبَاشَرَةً. فَالْأَبْوَابُ تُثِيرُ رِيبَتِي؛ إِذْ إِنَّهَا كَثِيرًا مَا تَنْغَلِقُ فَجْأَةً. رُبَّمَا أُحَاوِلُ أَنْ أَجْعَلَ الْعَمَّ بيلي الْأَبُوسُومَ يُخْرِجُ لِي إِحْدَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ. وَلَكِنَّ هَذِهِ الْخُطَّةَ لَنْ تَنْجَحَ عِنْدَمَا تُمْعِنُ التَّفْكِيرَ فِيهَا، فَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَثِقَ فِي الْعَمِّ بيلي. فَالْوَغْدُ الْعَجُوزُ مُولَعٌ بِالْبَيْضِ أَيْضًا. رُبَّمَا أَكُونُ مُسْتَعِدًّا لِمُشَاطَرَتِهَا مَعَهُ، وَلَكِنَّهُ سَيَتَنَاوَلُ نَصِيبَهُ أَوَّلًا، وَأَخْشَى أَنْ يَجِدَ طَعْمَهَا لَذِيذًا إِلَى حَدٍّ يَجْعَلُهُ يَأْكُلُ النِّصْفَ الْآخَرَ. لَا، عَلَيَّ أَنْ أَحْصُلَ عَلَى إِحْدَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ بِنَفْسِي. إِنَّهَا الطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ الْأَكِيدَةُ لِأَنْ أَحْصُلَ عَلَيْهَا.»

«عَلَيَّ أَنْ أَتَأَكَّدَ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون أَوِ الْمُزَارِعِ براون نَفْسِهِ فِي الْجِوَارِ. مِنَ الْمُفْتَرَضِ أَنْ يَذْهَبَا إِلَى حَقْلِ الذُّرَةِ عَمَّا قَرِيبٍ. وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ، مَا عَلَيَّ سِوَى أَنْ أَتَحَيَّنَ الْفُرْصَةَ وَأَتَسَلَّلَ إِلَى دَاخِلِ الْحَظِيرَةِ. لَنْ يَسْتَغْرِقَ الْأَمْرُ أَكْثَرَ مِنْ ثَانِيَةٍ. فَلْتَتَحَلَّ بِقَلِيلٍ مِنَ الشَّجَاعَةِ يَا بلاكي، قَلِيلٍ مِنَ الشَّجَاعَةِ فَحَسْبُ! فَلَا يُمْكِنُ الْحُصُولُ عَلَى شَيْءٍ ذِي قِيمَةٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ دُونَ بَعْضِ الْمُخَاطَرَةِ. أَمَّا مَا يَجِبُ فِعْلُهُ فَهُوَ التَّأَكُّدُ مِنْ تَقْلِيلِ نِسْبَةِ الْمُخَاطَرَةِ قَدْرَ الْإِمْكَانِ.»

فَرَدَ بلاكي جَنَاحَيْهِ وَطَارَ مِنْ عَلَى شَجَرَةِ الصَّنَوْبَرِ الْعَالِيَةِ بِهُدُوءٍ كَمَا هَبَطَ عَلَيْهَا بِهُدُوءٍ، وَتَوَجَّهَ مُبَاشَرَةً إِلَى حَقْلِ الذُّرَةِ الْخَاصِّ بِالْمُزَارِعِ براون. وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ بِمَا يَكْفِي لِرُؤْيَةِ الْحَقْلِ بِأَكْمَلِهِ، نَزَلَ لِيَقِفَ عَلَى عَمُودِ سِيَاجٍ، وَانْتَظَرَ هُنَاكَ. لَمْ يَنْتَظِرْ بلاكي طَوِيلًا؛ فَفِي الْوَاقِعِ، لَمْ تَمْضِ إِلَّا دَقَائِقُ حَتَّى لَمَحَ شَخْصَيْنِ قَادِمَيْنِ عَلَى الطَّرِيقِ الطَّوِيلِ فِي اتِّجَاهِ حَقْلِ الذُّرَةِ. نَظَرَ إِلَيْهِمَا بِتَمَعُّنٍ وَتَنَهَّدَ بِرِضًا. كَانَا هُمَا الْمُزَارِعَ براون وَابْنَهُ. وَسُرْعَانَ مَا وَصَلَا إِلَى حَقْلِ الذُّرَةِ وَدَخَلَاهُ. ثُمَّ بَدَآ الْعَمَلَ، وَعَلِمَ بلاكي أَنَّهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا، فَإِنَّ طَرِيقَهُ نَحْوَ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ خَالٍ.

لَمْ يَطِرْ بلاكي إِلَى الْحَظِيرَةِ مُبَاشَرَةً! لَا، فَهُوَ أَذْكَى مِنْ ذَلِكَ. فَقَدْ طَارَ نَحْوَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. وَعِنْدَمَا عَلِمَ أَنَّهُ بَعِيدٌ عَنْ أَنْظَارِ مَنْ بِحَقْلِ الذُّرَةِ، اسْتَدَارَ وَطَارَ نَحْوَ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ، وَمِنْ أَعْلَى إِحْدَى أَشْجَارِ التُّفَّاحِ الْمُعَمَّرَةِ، رَاحَ يُرَاقِبُ حَظِيرَةَ الدَّجَاجِ وَالْفِنَاءَ

وَمَنْزِلَ الْمُزَارِعِ براون وَمَخْزَنَ الْحُبُوبِ مُتَمَعِّنًا؛ لِكَيْ يَتَأَكَّدَ تَمَامًا مِنْ عَدَمِ وُجُودِ أَيِّ خَطَرٍ فِي الْجِوَارِ. وَعِنْدَمَا تَأَكَّدَ تَمَامًا، طَارَ بِهُدُوءٍ شَدِيدٍ إِلَى حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ كَمَا فَعَلَ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً مِنْ قَبْلُ. وَتَظَاهَرَ بِأَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ حُبُوبِ ذُرَةٍ مَنْثُورَةٍ، وَلَكِنَّهُ طَوَالَ الْوَقْتِ كَانَ يَقْتَرِبُ شَيْئًا فَشَيْئًا مِنْ بَابِ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ الْمَفْتُوحِ. وَأَخِيرًا، اسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى الصُّنْدُوقَ ذَا الْقَشِّ. مَشَى نَحْوَ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ مُبَاشَرَةً وَنَظَرَ إِلَى الدَّاخِلِ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا جَدِيرًا بِالْخَوْفِ. رَغْمَ ذَلِكَ، كَانَ مُتَرَدِّدًا. كَانَ يَكْرَهُ الدُّخُولَ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ وَلَوْ لِدَقِيقَةٍ، وَهَذَا هُوَ مَا سَيَسْتَغْرِقُهُ الطَّيَرَانُ إِلَى ذَلِكَ الْعُشِّ وَالْحُصُولُ عَلَى إِحْدَى الْبَيْضَتَيْنِ.

أَغْمَضَ بلاكي عَيْنَهُ لِثَانِيَةٍ، وَعِنْدَهَا بَدَا أَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ يَتَنَاوَلُ إِحْدَى الْبَيْضَتَيْنِ، وَتَمْتَمَ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ قَائِلًا: «مِمَّ تَخَافُ؟» ثُمَّ نَظَرَ سَرِيعًا فِي كُلِّ الِاتِّجَاهَاتِ وَطَارَ إِلَى حَافَةِ الصُّنْدُوقِ. وَوَجَدَ هُنَالِكَ الْبَيْضَتَيْنِ!

الفصل الحادي والثلاثون

بَيْضَةٌ سَيِّئَةُ السُّلُوكِ

إِذَا كَانَ لَدَيْكَ بَيْضَةٌ سَيِّئٌ سُلُوكُهَا،
فَمَاذَا عَسَاكَ أَنْ تَفْعَلَ بِهَا؟
فَإِقْنَاعُ بَيْضَةٍ بِفِعْلِ مَا لَا تُرِيدُ
يَبْدُو لِي صَعْبًا بِالتَّأْكِيدْ.

كُلُّ ذَلِكَ مَحْضُ هُرَاءٍ بِالطَّبْعِ. فَمَنْ سَمِعَ مِنْ قَبْلُ عَنْ بَيْضَةٍ سُلُوكُهَا حَسَنٌ أَوْ سَيِّئٌ؟ لَا أَحَدَ. حَسَنًا، لَا أَحَدَ أَعْرِفُهُ إِلَّا بلاكي. وَمِنَ الْأَفْضَلِ أَلَّا تَذْكُرَ الْبَيْضَ فِي حُضُورِ بلاكي هَذِهِ الْأَيَّامَ. فَهُوَ مَوْضُوعٌ مُحَرَّمٌ فِي حُضُورِهِ؛ فَبلاكي عَادَةً مَا يَسْتَاءُ قَلِيلًا بِمُجَرَّدِ ذِكْرِ الْبَيْضِ. لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَلُومَهُ. كَيْفَ كُنْتَ سَتَشْعُرُ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ أَمْرٍ مَا، ثُمَّ اكْتَشَفْتَ أَنَّكَ لَا تَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا عَلَى الْإِطْلَاقِ؟ هَذَا هُوَ مَا حَدَثَ مَعَ الْغُرَابِ بلاكي.

فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ لِبلاكي إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الْبَيْضِ، لَضَحِكَ بلاكي مِنْهُ؛ أَلَمْ يَخْرُجْ بلاكي أَصْلًا مِنْ بَيْضَةٍ؟ أَوَلَمْ يَكُنْ — مُنْذُ أَنْ كَبِرَ — يَصْطَادُ الْبَيْضَ وَيَسْرِقُهُ وَيَأْكُلُهُ؟ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الْبَيْضِ، فَمَنِ الَّذِي يَعْرِفُ؟ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ كَانَ سَيَرُدُّ قَبْلَ أَنْ يَزُورَ حَظِيرَةَ دَجَاجِ الْمُزَارِعِ براون. وَمُنْذُ تِلْكَ الزِّيَارَةِ، أَصْبَحَ مِنْ غَيْرِ الْحِكْمَةِ أَنْ يُذْكَرَ الْبَيْضُ أَمَامَهُ.

عِنْدَمَا رَأَى بلاكي الْبَيْضَتَيْنِ فِي الْعُشِّ الْمَوْجُودِ فِي حَظِيرَةِ دَجَاجِ الْمُزَارِعِ براون، لَكَمْ تَمَنَّى بلاكي لَوْ يَسْتَطِيعُ أَخْذَ كِلْتَيْهِمَا. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ. كَانَ كُلُّ مَا يَسْتَطِيعُ أَخْذَهُ هُوَ بَيْضَةً وَاحِدَةً. كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَخْتَارَ وَيَذْهَبَ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ؛ أَيُّهُمَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْخُذَ؟

كَثِيرًا مَا يَحْدُثُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ أَنَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَبْدُو غَيْرَ مُهِمَّةٍ — التَّافِهَةَ فِي حَدِّ ذَاتِهَا — يَثْبُتُ أَنَّهَا عَكْسُ ذَلِكَ تَمَامًا؛ فَفِي رَأْيِ بلاكي، لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ فَرْقٌ بَيْنَ الْبَيْضَتَيْنِ، مَا عَدَا أَنَّ إِحْدَاهُمَا كَانَتْ أَكْبَرَ مِنَ الْأُخْرَى قَلِيلًا. وَلَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ كَانَ الْفَرْقُ كَبِيرًا جِدًّا. فَإِحْدَاهُمَا كَانَتْ بُنِّيَّةَ اللَّوْنِ تَسُرُّ النَّاظِرِينَ، وَالْأُخْرَى — الْأَكْبَرُ حَجْمًا — كَانَتْ بَيْضَاءَ تَسُرُّ النَّاظِرِينَ أَيْضًا. فِي الْوَاقِعِ، ظَنَّ بلاكي أَنَّهَا أَجْمَلُ الْبَيْضَتَيْنِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ نَاعِمَةً وَلَامِعَةً لِلْغَايَةِ. فَلِهَذَا السَّبَبِ — وَكَذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَكْبَرَ الْبَيْضَتَيْنِ — اخْتَارَ بلاكي الْبَيْضَاءَ، فَقَبَضَ عَلَيْهَا بَيْنَ مَخَالِبِهِ وَبَدَأَ يَطِيرُ بِهَا، وَلَكِنَّهُ لِسَبَبٍ مَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُحْكِمَ مَخَالِبَهُ عَلَيْهَا، فَرَفْرَفَ بِجَنَاحَيْهِ حَتَّى هَبَطَ عَلَى الْأَرْضِ مَا إِنْ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ، وَهُنَاكَ أَحْكَمَ عَلَيْهَا مَخَالِبَهُ. وَإِذِ انْقَضَّ عَلَيْهِ الدِّيكُ الرُّومِيُّ الْعَجُوزُ داندي كوك — خَافِضًا رَأْسَهُ وَنَافِشًا رِيشَ رَقَبَتِهِ كُلَّهُ فِي غَضَبٍ — ارْتَفَعَ بلاكي فِي الْهَوَاءِ وَحَلَّقَ فَوْقَ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ مُتَّجِهًا نَحْوَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ.

لَمْ يَكُنْ بلاكي قَدْ شَعَرَ مِنْ قَبْلُ بِمِثْلِ تِلْكَ الرَّغْبَةِ الْعَارِمَةِ فِي الصِّيَاحِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ؛ فَقَدْ شَعَرَ بِشِدَّةِ ذَكَائِهِ، وَأَشُكُّ أَنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ أَيْضًا بِشَجَاعَتِهِ الْبَالِغَةِ. لَكَمْ أَحَبَّ أَنْ يَتَفَاخَرَ قَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ، فَبِكُلِّ حِكْمَةٍ أَمْسَكَ لِسَانَهُ، فَسَيُتَاحُ لَهُ الْوَقْتُ الْكَافِي لِلتَّفَاخُرِ بَعْدَ أَنْ يَصِلَ لِمَكَانٍ آمِنٍ وَيَأْكُلَ الْبَيْضَةَ.

كَانَ فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ فَوْقَ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ عِنْدَمَا شَعَرَ بِأَنَّ الْبَيْضَةَ بَدَأَتْ فِي الِانْزِلَاقِ. وَفِي أَحْسَنِ الظُّرُوفِ لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ حَمْلُ بَيْضَةٍ دُونَ أَنْ تَنْكَسِرَ. فَكَمَا تَعْلَمُونَ، عَلَيْكُمْ تَوَخِّي أَشَدِّ الْحَذَرِ. وَتَخَيَّلُوا شُعُورَ بلاكي عِنْدَمَا بَدَأَتِ الْبَيْضَةُ فِي الِانْزِلَاقِ. وَبِقَدْرِ مَا حَاوَلَ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقْبِضَ عَلَيْهَا جَيِّدًا، فَانْزَلَقَتْ أَكْثَرَ قَلِيلًا. تَوَجَّهَ بلاكي نَحْوَ الْأَرْضِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ سَرِيعًا بِمَا يَكْفِي. رَأَى السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ — الَّذِي وَقَفَ يُرَاقِبُ بلاكي مِنْ عَلَى الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ — شَيْئًا أَبْيَضَ يَقَعُ مِنْ بَيْنِ مَخَالِبِ بلاكي. وَرَأَى بلاكي يَنْدَفِعُ وَرَاءَهُ مُحَاوِلًا الْإِمْسَاكَ بِهِ دُونَ جَدْوَى. ثُمَّ ارْتَطَمَ الشَّيْءُ الْأَبْيَضُ بِفَرْعٍ مِنْ شَجَرَةِ تُفَّاحٍ قَدِيمَةٍ، وَارْتَدَّ عَنْهُ ثُمَّ سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ، وَتَبِعَهُ بلاكي.

تَسَلَّلَ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ بِهُدُوءٍ بَالِغٍ عَبْرَ الْحَشَائِشِ لِيَرَى مَا يَفْعَلُهُ بلاكي. كَانَ بلاكي يَقِفُ بِجِوَارِ شَيْءٍ أَبْيَض يُشْبِهُ الْبَيْضَةَ كَثِيرًا. كَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَقَدِ ارْتَسَمَ عَلَى وَجْهِهِ تَعْبِيرٌ عَجِيبٌ.

مِنْ حِينٍ لِآخَرَ كَانَ يَمُدُّ رَأْسَهُ وَيَطْرُقُهُ بِمِنْقَارِهِ، ثُمَّ يَبْدُو كَمَا لَوْ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ مَا يَفْعَلُ بِهِ. وَهُوَ فِعَلًا لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ. لَمْ يَكُنْ سُلُوكُ الْبَيْضَةِ كَمَا يَنْبَغِي. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَنْكَسِرَ عِنْدَمَا ارْتَطَمَتْ بِفَرْعِ شَجَرَةِ التُّفَّاحِ، وَبِالتَّأْكِيدِ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَنْكَسِرَ عِنْدَمَا ضَرَبَهَا بِمِنْقَارِهِ هَكَذَا. فَكَيْفَ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ تِلْكَ الْبَيْضَةَ، لَوْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَى كَسْرِ قِشْرَتِهَا؟ لَمْ يَكُنْ بلاكي يَعْرِفُ.

الفصل الثاني والثلاثون

مَاذَا فَعَلَ بلاكي بِالْبَيْضَةِ الْمَسْرُوقَةِ؟

كَانَ بلاكي مُحْتَارًا؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَا يَجِبُ فِعْلُهُ بِالْبَيْضَةِ الَّتِي سَرَقَهَا مِنْ حَظِيرَةِ دَجَاجِ الْمُزَارِعِ براون. لَمْ تَكُنْ تُشْبِهُ أَيَّةَ بَيْضَةٍ رَآهَا أَوْ حَتَّى سَمِعَ بِهَا مِنْ قَبْلُ. كَانَتْ بَيْضَةً حُلْوَةَ الْمَظْهَرِ، وَكَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّ طَعْمَهَا سَيَكُونُ حُلْوًا كَمَظْهَرِهَا. وَحَتَّى تِلْكَ اللَّحْظَةِ كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُ إِذَا اسْتَطَاعَ تَذَوُّقَهَا، فَسَيَجِدُ فِيهَا كُلَّ مَا يَتَمَنَّاهُ. لَكِنْ كَيْفَ سَيَسْتَطِيعُ تَذَوُّقَهَا بَيْنَمَا لَا يَسْتَطِيعُ كَسْرَ قِشْرَتِهَا؟ إِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ قَبْلُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْقِشْرَةِ. وَشَكَّ فِي أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ آخَرُ قَدْ سَمِعَ بِمِثْلِهَا. لَقَدْ دَقَّ عَلَيْهَا بِقُوَّةٍ بِمِنْقَارِهِ الْقَوِيِّ حَتَّى خَشِيَ أَنْ يَنْكَسِرَ مِنْقَارُهُ بَدَلًا مِنَ الْبَيْضَةِ. وَكُلَّمَا زَادَتْ مُحَاوَلَاتُهُ الْفَاشِلَةُ فِي كَسْرِهَا، زَادَ جُوعُهُ، وَزَادَ تَأَكُّدُهُ مِنْ أَنَّهُ لَا شَيْءَ آخَرَ فِي هَذَا الْعَالَمِ سَيَكُونُ أَلَذَّ مِنْهَا.

لَكِنَّ الْبُسْتَانَ الْقَدِيمَ لَمْ يَكُنْ مَكَانًا مُنَاسِبًا لِمُحَاوَلَةِ كَسْرِ هَذِهِ الْبَيْضَةِ؛ فَأَوَّلًا: كَانَ الْمَكَانُ قَرِيبًا مِنْ مَنْزِلِ الْمُزَارِعِ براون أَكْثَرَ مِنَ اللَّازِمِ، وَهُوَ مَا لَمْ يَرْتَحْ لَهُ بلاكي؛ فَقَدْ كَانَ يَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ تَأْنِيبِ الضَّمِيرِ. لَمْ يَكُنْ يَشْعُرُ مُطْلَقًا بِأَنَّهُ فَعَلَ أَمْرًا خَاطِئًا؛ فَقَدْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ ذَكِيًّا بِمَا يَكْفِي لِلْحُصُولِ عَلَى تِلْكَ الْبَيْضَةِ، فَلَهُ حَقٌّ فِيهَا مِثْلُهُ مِثْلُ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ، لَا سِيَّمَا ابْنَ الْمُزَارِعِ براون. لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُتَأَكِّدًا عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون سَيُشَارِكُهُ الرَّأْيَ. فِي الْوَاقِعِ، كَانَ يَشْعُرُ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون سَيَعْتَبِرُهُ لِصًّا إِذَا وَجَدَ تِلْكَ الْبَيْضَةَ مَعَهُ. وَإِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ، كَانَ ثَمَّةَ الْكَثِيرُ مِنَ الْعُيُونِ الثَّاقِبَةِ فِي الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ. فَكَانَ يَرْغَبُ فِي الذَّهَابِ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ يُمْكِنُهُ التَّأَكُّدُ مِنْ أَنَّهُ بِمُفْرَدِهِ فِيهِ. وَحِينَهَا إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَكْسِرَ هَذِهِ الْقِشْرَةَ، فَلَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ؛ لِذَا الْتَقَطَ الْبَيْضَةَ وَطَارَ

نَحْوَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ مُبَاشَرَةً، وَهَذِهِ الْمَرَّةَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَصِلَ إِلَى هُنَاكَ دُونَ أَنْ تَقَعَ مِنْهُ الْبَيْضَةُ.

لَمْ تَكُنْ لِتَشُكَّ قَطُّ فِي أَنْ يَكُونَ الْغُرَابُ بلاكي — بِذَكَائِهِ الْحَادِّ وَدَهَائِهِ — مِمَّنْ تَسْتَهْوِيهِمُ الْأَشْيَاءُ الْبَرَّاقَةُ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ وَلَكِنَّ تِلْكَ هِيَ الْحَقِيقَةُ. فِي الْوَاقِعِ، يُشْبِهُ بلاكي الطِّفْلَ الصَّغِيرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ؛ فَأَيُّ شَيْءٍ بَرَّاقٍ وَلَامِعٍ يُثِيرُ اهْتِمَامَ بلاكي عَلَى الْفَوْرِ. وَإِذَا وَجَدَ شَيْئًا مِنْ هَذَا النَّوْعِ، يَأْخُذُهُ إِلَى مَكَانٍ سِرِّيٍّ مُعَيَّنٍ، وَهُنَاكَ يَظَلُّ يَتَأَمَّلُهُ وَيَلْعَبُ بِهِ ثُمَّ يُخَبِّئُهُ فِي النِّهَايَةِ. كُنْتُ سَأَظُنُّ بلاكي يُشْبِهُ بَعْضَ الْأَوْلَادِ الصِّغَارِ الَّذِينَ أَعْرِفُهُمْ، لَوْ لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ صَحِيحٍ؛ إِذْ إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا. فَدَائِمًا مَا تَكُونُ جُيُوبُ هَؤُلَاءِ الْأَوْلَادِ مَلِيئَةً بِمُخْتَلِفِ الْأَشْيَاءِ عَدِيمَةِ الْفَائِدَةِ الَّتِي الْتَقَطُوهَا مِنْ مَكَانٍ أَوْ آخَرَ. وَبلاكي لَا يَمْلِكُ جُيُوبًا؛ لِذَا يَحْتَفِظُ بِالْكُنُوزِ مِنْ هَذَا النَّوْعِ فِي مَخْبَأٍ سِرِّيٍّ، هُوَ مَخْزَنُ كُنُوزٍ نَوْعًا مَا. فَيَزُورُهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيُخْرِجُ كُنُوزَهُ، وَيَتَفَاخَرُ بِهَا وَيَلْعَبُ بِهَا، ثُمَّ يُخْفِيهَا بِعِنَايَةٍ مَرَّةً أُخْرَى.

فِي الْبِدَايَةِ، أَخَذَ بلاكي هَذِهِ الْبَيْضَةَ بِالْقُرْبِ مِنْ مَنْزِلِهِ، وَحَاوَلَ مِرَارًا وَتَكْرَارًا أَنْ يَكْسِرَ قِشْرَتَهَا. لَكِنَّ الْقِشْرَةَ لَمْ تَنْكَسِرْ، حَتَّى عِنْدَمَا فَقَدَ بلاكي أَعْصَابَهُ وَطَرَقَهَا بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ مِنْ قُوَّةٍ. ثُمَّ تَخَلَّى عَنْ هَذَا الْأَمْرِ وَطَارَ إِلَى مَكَانِهِ الْمُفَضَّلِ عَلَى قِمَّةِ شَجَرَةِ الصَّنَوْبَرِ الْعَالِيَةِ تَارِكًا الْبَيْضَةَ عَلَى الْأَرْضِ. وَلَكِنَّهُ كَانَ يَرَى تِلْكَ الْبَيْضَةَ الْمُسْتَفِزَّةَ مِنْ مَوْضِعِهِ الْمُفَضَّلِ عَلَى شَجَرَةِ الصَّنَوْبَرِ الْعَالِيَةِ، فَكَانَتْ بُقْعَةً صَغِيرَةً مِنَ الْبَيَاضِ اللَّامِعِ. وَعِنْدَمَا وَجَدَتْهَا أَشِعَّةُ الشَّمْسِ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَيْهَا، كَانَتْ لَامِعَةً وَبَرَّاقَةً لِلْغَايَةِ، حَتَّى إِنَّ بلاكي لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُبْعِدَ عَيْنَيْهِ عَنْهَا.

وَشَيْئًا فَشَيْئًا، بَدَأَ يَنْسَى أَنَّهَا بَيْضَةٌ، أَوْ إِنَّهُ عَلَى الْأَقَلِّ نَسِيَ أَنَّهُ كَانَ يَرْغَبُ فِي تَنَاوُلِهَا. وَبَدَأَ يَجِدُ مُتْعَةً فِي مُجَرَّدِ النَّظَرِ إِلَيْهَا. رُبَّمَا لَمْ تُشْبِعْ مَعِدَتَهُ، وَلَكِنَّهَا بِالتَّأْكِيدِ أَشْبَعَتْ عَيْنَيْهِ. نَسِيَ أَنْ يُفَكِّرَ فِيهَا بِاعْتِبَارِهَا طَعَامًا، وَبَدَأَ يُفَكِّرُ فِيهَا عَلَى أَنَّهَا شَيْءٌ جَدِيرٌ بِالتَّأَمُّلِ وَالْإِعْجَابِ. وَسَرَّهُ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ كَسْرَ قِشْرَتِهَا.

بَسَطَ جَنَاحَيْهِ الْأَسْوَدَيْنِ مَرَّةً أُخْرَى وَنَزَلَ إِلَى الْبَيْضَةِ، ثُمَّ أَمَالَ رَأْسَهُ جَانِبًا وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ أَمَالَ رَأْسَهُ لِلْجَانِبِ الْآخَرِ وَنَظَرَ إِلَيْهَا أَيْضًا، ثُمَّ طَافَ حَوْلَهَا ضَاحِكًا وَقَالَ لِنَفْسِهِ: «جَمِيلَةٌ جَمِيلَةٌ جَمِيلَةٌ! وَهِيَ مِلْكِي أَنَا وَحْدِي! جَمِيلَةٌ، جَمِيلَةٌ، وَمِلْكِي وَحْدِي!»

ثُمَّ نَظَرَ بلاكي حَوْلَهُ بِمَكْرٍ لِلتَّأَكُّدِ مِنْ أَنَّ أَحَدًا لَا يُرَاقِبُهُ. وَبَعْدَ أَنْ تَأَكَّدَ، دَحْرَجَ الْبَيْضَةَ وَرَاحَ يُقَلِّبُهَا وَيَتَأَمَّلُهَا بِقَدْرِ مَا أَرَادَ. وَفِي النِّهَايَةِ، الْتَقَطَهَا وَحَمَلَهَا إِلَى مَخْبَأِ الْكُنُوزِ وَخَبَّأَهَا هُنَاكَ بِعِنَايَةٍ بَالِغَةٍ. وَهُنَاكَ لَا تَزَالُ هَذِهِ الْبَيْضَةُ الْخَزَفِيَّةُ — فَهَذَا هُوَ مَا سَرَقَهُ بلاكي — أَهَمَّ كَنْزٍ لَدَى بلاكي حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا، وَلَا يَزَالُ بلاكي يَتَسَاءَلُ أَحْيَانًا عَنِ الدَّجَاجَةِ الَّتِي بَاضَتْ مِثْلَ هَذِهِ الْبَيْضَةِ صُلْبَةِ الْقِشْرَةِ.

هنداوي